تعليقات

على كتاب الإبانة عن أصول الديانة

للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله

تأليف : الشيخ العلامة / أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله

اعتنى به / حسن بن محمد بن منصور الدغريري

ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى

قال الشيخ العلامة حماد الأنصاري رحمه الله تعالى في مقدمته على تحقيق كتاب الإبانة عن أصول الديانة : " لما كان أكثر الناس في الأقطار الإسلامية من ينتسب إلى عقيدة أبي الحسن الأشعري ، ومع ذلك لا يعرف شيئاً عن أبي الحسن الأشعري ، ولا عن عقيدته ؛ التي استقرَّ عليها أمره أخيراً ، واستحق بها أن يكون من الأئمة المقتدى بهم .

أحببنا أن نفيد أولئك عن حقائق هذا الإمام المجهول عند كثير ممن ينتسب إليه ، وينتحل عقيدته ، حسب ما تتبعنا من المراجع المعتبرة ، وقبل كل شيء نتحف القارئ بنبذة قليلة من ترجمة الأشعري ، فأقول وبالله أستعين :

التعريف بالإمام :-

هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

ولد سنة (٢٦٠ هـ) ستين ومائتين من الهجرة النبوية .

دخل هذا الإمام بغداد ، وأخذ الحديث عن الحافظ زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث ، والفقه وعن أبي خليفة الجمحي ، وسهل بن سرح ، ومحمد بن يعقوب المقري ، وعبد الرحمن بن خلف البصريين وروى عنهم كثيراً في تفسيره المختزن ، وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، ولما تبحَّر في كلام الاعتزال ، وبلغ فيه الغاية ، كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً ، فتحيِّر في ذلك ، فحكي عنه أنه قال : وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد ، فقمت وصليت ركعتين ، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم ، ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عليك بسنتي)) فانتبهت !! وعارضتُ مسائل الكلام بما وجدت في القرآن ، والأخبار ، فأثبته ، ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً .

قال أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في الجزء الحادي عشر من تاريخه المشهور صفحة ٣٤٦ : أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب ، والتصانيف في الرد على الملحدة ، وغيرهم ؛ من المعتزلة ، والرافضة ، والجهمية ، والخوارج ، وسائر أصناف المبتدعة " .

إلى أن قال : " وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري ، فحجزهم في أقماع السمسم !! " .

قال ابن فرحون في الديباج : " أثنى على أبي الحسن الأشعري أبو محمد بن أبي زيد القيرواني ، وغيره من أئمة المسلمين " .

وقال ابن العماد الحنبلي في الشذرات (٢ / ٣٠٣) : " ومما بيض به أبو الحسن الأشعري وجوه أهل السنة النبوية ، وسوَّد به رايات أهل الاعتزال ، والجهمية ، فأبان به وجه الحق الأبلج ، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج ؛ مناظرته مع شيخه الجبَّائي ؛ التي بها قصم ظهر كل مبتدع مراءٍ "

قال ابن العماد : " وفي هذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خصَّ من شاء برحمته ، واختص آخرٌ بعذابه " ا هـ .

وبعد ذكر هذه النتفة من ترجمة هذا الإمام نذكر فيما يلي إثبات رجوعه عن الاعتزال ، وإثبات نسبة الإبانة إليه ننقل ذلك من المراجع الموثوق بها .

فنقول ، وبالله التوفيق : -

رجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى عقيدة السلف .

قال الحافظ مؤرخ الشام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة (٥٧١ هـ) في كتابه التبيين : -

" قال أبو بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة : إنَّ أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً ، وإنه أقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة ، وكان لهم إماماً ، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع بالبصرة ، فصعد المنبر

بعد صلاة الجمعة ، وقال : معاشر الناس إنيِّ إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت ، فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي حقٌّ على باطل ، ولا باطل على حق ، فاستهديت الله تبارك وتعالى ، فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده ، كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوبٍ كان عليه ، ورمى به ودفع الكتب إلى الناس ، فمنها كتاب اللمع ، وغيره من تواليفه الآتي ذكر بعضها قريباً إن شاء الله ، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث ، والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها ، وانتحلوه ، واعتقدوا تقدمه ، واتخذوه إماماً حتى نسب مذهبهم إليه ، فصار عند المعتزلة ككتابي أسلم ، وأظهر عوار ما تركه فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة .

وكذلك أبو الحسن الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة ، فهم يشنِّعون عليه ، وينسبون إليه الأباطيل وليس طول مقام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة مما يفضي به إلى انحطاط المنزلة ، بل يقضي له في معرفة الأصول بعلو المرتبة ، ويدل عند ذوي البصائر له على سمو المنقبة ، لأنّ من رجع عن مذهب كان بعواره أخبر ، وعلى ردِّ شبه أهله وكشف تمويهاتهم أقدر ، وبتبيين ما يلبسون به لمن يهتدي باستبصاره أبصر ، فاستراحة من يعيره بذلك كاستراحة مناظرة هارون بن موسى الأعور .

واتفق أصحاب الحديث أنَّ أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث ، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث ، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة ، وردَّ على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة ، وكان على المعتزلة ، والروافض ، والمبتدعين من أهل القبلة ، والخارجين عن الملة سيفاً مسلولاً .

ومن طعن فيه أو سبَّه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة ، ولم يكن أبو الحسن الأشعري أوَّل متكلم بلسان أهل السنة ، وإنما جرى على سنن غيره ، وعلى نصرة مذهبٍ معروف ، فزاده حجةً ، وبياناً ولم يبتدع مقالة اخترعها ، ولا مذهباً انفرد به ، وليس له في المذهب أكثر من

بسطه ، وشرحه كغيره من الأئمة " . وقال أبوبكر بن فورك : " رجع أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة سنة (٣٠٠ هـ) .

العلماء القائلون برجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

١- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان الشافعي ، المتوفى سنة (٦٨١ هـ) فقال في وفيات الأعيان (٢ / ٤٤٦) : " كان أبو الحسن الأشعري معتزلياً ، ثم تاب " .

٢- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي ، المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) قال في البداية والنهاية (١١ / ١٨٧) : " إن الأشعري كان معتزلياً ، فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ، ثم أظهر فضائح المعتزلة ، وقبائحهم " ثم قال ابن كثير : " ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال :-

أولها : حال الاعتزال ؛ التي رجع عنها لا محالة .

والحال الثاني : إثبات الصفات العقلية السبع ، وهي : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع والبصر ، والكلام ، وتأويل الخبرية كالوجه ، واليدين ، والقدم ، والساق ، ونحو ذلك .

والحال الثالث : إثبات ذلك كله من غير تكييف ، ولا تشبيهٍ ؛ جرياً على منوال السلف ؛ وهي طريقته في الإبانة ؛ التي صنَّفها آخراً .

٣- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي الشهير بـ " الذهبي " المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) قال في كتابه العلو للعلي الغفار : " كان أبو الحسن أولاً معتزلياً ذبَّ عن أبي علي الجبائي ، ثم نابذه ، وردَّ عليه ، وصار متكلماً للسنة ، ووافق أئمة الحديث ، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ، ولزموها لأحسنوا ، ولكنَّهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ، ومشوا خلف المنطق ، فلا قوة إلا بالله ! " .

وبهذه النقول عن هؤلاء الأعلام ثبت ثبوتاً لاشك فيه ، ولا مرية أنَّ أبا الحسن الأشعري استقرَّ أمره أخيراً بعد أن كان معتزلياً على عقيدة السلف التي جاء بها القرآن الكريم ، وسنة النبي عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم .

إثبات صحة نسبة كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري .

وبعد إتمام هذا الحديث حول رجوعه عن الاعتزال نقرأ بحثاً ثانياً في صحة نسبة الإبانة في أصول الديانة إليه رداً على بعض الأغمار ؛ الذين زعموا أنها مدسوسة عليه ؛ وهذا هو بيت القصيد ، فنقول وبالله نستعين : -

١- قال الحافظ ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري ص١٢٨ : " وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة ، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة ، ومن وقف على كتابه المسمى بالإبانة عرف موضعه من العلم ، والديانة " .

ثم قال في صفحة (١٥٢) : " إذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد ، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد ؛ يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد ، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد ، فلا بدَّ أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة ، ونتجنب أن يزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة ، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة ، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة ، وذكر ما يأتي في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى " . ثم قال في صفحة (١٧١) في جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له :-

لو لم يصنف عمره ... غير الإبانة واللمع
لكفى فكيف وقد ... تفنن في العلوم بما جمع
مجموعة تربى على المئتين ... مما قد صنع
لم يأل في تصنيفها ... أخذاً بأحسن ما استمع
فهدى بها المسترشد ... بن ومن تصفَّحها انتفع
تتلى معاني كتبه ... فوق المنابر في الجمع
ويخاف من إفحامه ... أهل الكنائس والبيع
فهو الشجا في حلق من ... ترك المحجة وابتدع

٢- ممن عزا الإبانة إلى أبي الحسن الأشعري ؛ الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي ، المتوفى سنة (٤٥٨ هـ) قال في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد في باب

: القول في القرآن . صفحة (٣١) " ذكر الشافعي رحمه الله ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ، ونكتبه في مصاحفنا يسمَّى كلام الله عز وجل ، وإنَّ الله عز وجل كلَّم به عباده بأن أرسل به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمعناه ذكره أيضاً علي بن إسماعيل في كتاب الإبانة ".

٣- ممن ذكر أنَّ الإبانة تأليف أبي الحسن الأشعري ؛ أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الشافعي المتوفى سنة (٦٠٥ هـ) قال في رسالته الذبُّ عن أبي الحسن الأشعري : " اعلموا معشر الإخوان أنَّ كتاب الإبانة عن أصول الديانة ؛ الذي ألَّفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقرَّ عليه أمره فيما كان يعتقده ، وبه كان يدين الله ﷻ بعد رجوعه من الاعتزال بمنِّ الله ، ولطفه وكلُّ مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها ، وتبرَّأ إلى الله سبحانه منها ، وكيف وقد نصَّ فيه على أنَّه ديانته التي يدين الله سبحانه بها " .

٤- وممن ذكر الإبانة ونسبها إلى أبي الحسن الأشعري تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الشهير بابن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

قال في الفتوى الحموية الكبرى صفحة (٧٠) : " قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه الإبانة في أصول الديانة ، وقد ذكر أصحابه أنَّه آخر كتاب صنَّفه ، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه ، فقال : فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة ، وذكر ما في أول كتاب الإبانة بحروفه ، وسيأتي ذكره إن شاء الله قريباً .

٥- وممن عزاها إلى أبي الحسن الأشعري شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي ، المتوفى سنة (٧٥١ هـ) قال في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ؛ الطبعة الهندية صفحة (١١١) : " قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ولما رجع الأشعري عن مذهب المعتزلة سلك طريق أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها كالإبانة ، والموجز والمقالات ، وغيرها " .

وقال ابن القيم في قصيدته النونية التي سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ؛ الطبعة المصرية صفحة (٦٨) :

والأشعري قال : تفسير استوى ... بحقيقة استولى من البهتان
هو قول أهل الاعتزال وقول أتبـ ... ـاع لجهم وهو ذو بطلان
في كتبه قد قال ذا من موجز ... وإبانة ومقالة ببيان

وقال في صفحة (٦٩) من الكتاب المذكور آنفا :

وحكى ابن عبد البر في تمهيده ... وكتاب الاستذكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن الله فو ... ق العرش بالإيضاح والبرهان
وأتى هناك بما شفى أهل الهدى ... لكنه مرض على العميان
وكذا على الأشعري فإنه ... في كتبه قد جاء بالتبيان
من موجز وإبانة ومقالة ... ورسائل للثغر ذات بيان
وأتى بتقرير استواء الرب فو ... ق العرش بالإيضاح والبرهان
وأتى بتقرير العلو بأحسن التقـ ... ـرير فانظر كتبه بعيان

قلت : وهذه نقول الأئمة الأعلام ؛ أعلام الإسلام قد تضمنت بالصراحة التي لا ينتطح فيه عنزان ، ولا يمتري فيها اثنان ؛ أنَّ كتاب الإبانة ليس مدسوساً على أبي الحسن الأشعري كما زعمه بعض الأغمار من المقلِّدة ؛ بل هو من تأليفاته ؛ التي ألَّفها أخيراً ، واستقرَّ أمره على ما فيها من عقيدة السلف ؛ التي جاءت في القرآن الكريم ، وسنة النبي عليه أفضل الصلاة ، وأتم التسليم " انتهى ما أردت نقله من ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري للشيخ العلامة حماد الأنصاري رحمه الله بتصرف .

المؤلف

قال الإمام أبو الحسن الأشعري – رحمه الله تعالى – في الباب الثاني في إبانة قول أهل الحق والسنة :

٢٥- وجملة قولنا : إنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، وبعد :-

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة لأبي الحسن الأشعري .

قوله : " **إنا نقر بالله** " هذا يتفرع عنه أمور :-

الأمر الأول والثاني : الإقرار بوجود الله عز وجل ، وربوبيته ، ومما يدل على ذلك ما ورد في القرآن من النصوص التي تنبه العقل البشري بالأدلة الكونية ، والأدلة التي ساقها الله في القرآن ، والقرآن كلام الله معجز للبشرية ، يدل على كمال من تكلم به كماله في علمه ، وفي قدرته ، وفي بلاغة كلامه ، وغير ذلك مما يدل على عجز البشر عن معارضته أو محاكاته ، ومن المعلوم أنَّ أعداء الدعوة المحمدية منذ بعث محمد ﷺ ، وهم يحاولون معارضة ما جاء به ، فلم يقدروا على ذلك ، وقد تحدَّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله ، فلم يستطع أحد منهم على ذلك ، وهذا دليل من أعظم الأدلة على كمال علم الله سبحانه وتعالى ، وأنَّ القرآن كلامه .

ومن الأدلة التي تنبه العقل البشري بالأدلة الكونية ، قول الله ﷻ في كتابه : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴾ [فاطر : ٤١] وقوله تعالى : ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاَّ بإذنه ﴾ [الحج : ٦٥] وقوله تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ۞ وإلى السماء كيف رفعت ۞ وإلى الجبال كيف نصبت ۞ وإلى الأرض كيف سطحت ۞ فذكر إنما أنت مذكر ۞ لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ١٧-٢٠]

وغيرها من الآيات .

الأمر الثالث : الإيمان بوحدانيته ، وألوهيته ، قال الله ﷻ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ﴾ [آل عمران : ١٨] وقال ﷻ : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقال ﷻ : ﴿ قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [الإخلاص : ١- ٤] والقرآن كله مليء بالاستدلال بانفراد الله بالألوهية ، ووحدانيته بها كما قال جل من قائل : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ﴾ [الحج : ٧٣] .

الأمر الرابع : الإيمان بما له من صفاتٍ كاملة ، وأسماء حسنى كما قال جل من قائل : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ [الأعراف : ١٨٠] فيجب أن نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات .

الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئاً .
وأنَّ الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو ؛ فرد صمد لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً .
وأنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ، ودين الحق . (١)

فالإقرار بالله عز وجل يقتضي الإقرار بما ذكر ، وهو الإقرار بوجوده ، وربوبيته ، وانفراده بالألوهية وانفراده بالأسماء والصفات ؛ التي يجب إثباتها له ، وأن نثبتها له على الوجه اللائق بجلاله .

قوله : " وملائكته " الإيمان بالملائكة هو الإيمان بوجودهم ، وأنَّهم لا يحصيهم إلا الذي خلقهم كما قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [المدثر : ٣١] وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ حين أسري به قال : ((ثم رفع لي البيت المعمور ، فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما

---

١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره الآية من سورة التوبة رقم ٣٣ : " فالهدى : هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة ، والإيمان الصحيح ؛ والعلم النافع ، ودين الحق : هي الأعمال الصالحة ؛ الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة " اهـ .

عليهم))[1] فإذا كان هذا منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم القيامة ، فمن يحصي هذا الجنس من المخلوقات إلا الذي خلقهم .

قوله : " وكتبه " الإيمان بالكتب المنزلة كصحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى وقرآن محمد ؛ وزبور داود ؛ نؤمن بالكتب الأولى إيماناً مجملاً ، ونؤمن بكتابنا القرآن إيماناً مفصلاً .

قوله : " ورسله " كذلك نؤمن بأنَّ لله رسلاً منهم من سمَّى ، ومنهم من لم يسمَّ ، فأولهم : نوح ، وآخرهم محمد ﷺ ، وأنَّ الله كلَّف عباده اتباع الرسل ؛ قال تعالى : ﴿ يا بني آدم إمَّا يأتينَّكم رسلٌ منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا فمن اتقى وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون ﴾ [الأعراف : ٣٥] .

قوله : " وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً ، وأنَّ الله ﷻ إله واحد لا إله إلا هو ؛ فرد صمد لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً " أي : أنَّهم يؤمنون بذلك على نحو ما جاء ؛ فيؤمنون بسنة رسول الله ﷺ على فهم الصحابة رضوان الله عليهم .

وقوله : " وأنَّ الله ﷻ إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد " أقول إثبات الوحدانية لله عزَّ وجل له أدلةٌ لاتحصى ، ومن ذلك قول الله ﷻ : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ۞ قل إنَّما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنَّما إلهكم إلهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ [الكهف : ١٠٩ – ١١٠]

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء خلق الخلق في باب ذكر الملائكة ، وأخرجه الإمام مسلمٌ في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة من حديث أنس بن مالك ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّ هذه أمتكم أمَّةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٩٢] وقوله تعالى : ﴿ وقضى ربُّك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاه وبالوالدين إحساناً ﴾ [الإسراء : ٢٣] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : " لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً " فهذا فيه ضرورة الإخلاص لله تعالى ؛ دلَّ على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ۞ لقد جئتم شيئا إدّاً ۞ تكاد السماوات والأرض يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ۞ أن دعوا للرحمن ولداً ۞ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ۞ إن كلُّ من في السماوات والأرض إلاَّ آتي الرحمن عبداً ۞ لقد أحصاهم وعدَّهم عدَّاً عداً ۞ وكلُّهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ [مريم : ٩٠ – ٩٥] .

قوله : " وأنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ أرسله بالهدى ، ودين الحق " أمَّا شهادة أنَّ محمداً رسول الله ؛ فهي ثانية الشهادتين ، والشهادة الأولى شهادة لله بوحدانيته للألوهية ، والشهادة الثانية شهادةٌ للرسول ﷺ بالرسالة ؛ وأنَّه مرسلٌ من عند الله مبلِّغٌ عن الله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ۞ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ۞ فإن عصوك فقل إنِّي بريءٌ مما تعملون ۞ وتوكل على العزيز الرحيم ۞ الذي يراك حين تقوم ۞ وتقلبك في الساجدين ۞ إنَّه هو السميع العليم ﴾ [الشعراء : ٢١٤ – ٢١٩] فهو ﷺ عبدٌ لله عزَّ وجل ليس له حقٌّ في الألوهية ، وفيه ردٌّ على أصحاب وحدة الوجود والحلولية ؛ وغيرهم من الصوفية ؛ الذين يغالون في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعطونه ما ليس له مما انفرد به الله عزَّ وجل ، وقد ثبت بالأدلة أنَّ الله خيَّره بين أن يكون ملكاً رسولاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ؛ فاستشار جبريل في ذلك ؛ فقال له : تواضع ؛ فاختار أن يكون عبداً رسولاً لله ﷻ [1] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند طبعة دار الفكر (٢/ ٢٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وأخرجه أبو يعلى برقم (٦١٠٥) ونصه : " عن أبي هريرة ﷺ قال : " جلس جبريل إلى النبي ﷺ ، فنظر إلى السماء ، فإذا ملكٌ ينزل ، فقال له جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد ؛ أرسلني إليك ربك ، أملِكاً أجعلك أم عبداً رسولا ؟ قال له جبريل : تواضع لربك يا محمد : قال : لا ؛ بل عبداً رسولاً " قال الألباني رحمه الله : " وهذا إسنادٌ صحيح على شرط مسلم " انظر السلسلة الصحيحة (٣ / ٣-٤) .

٢٦- وأنَّ الجنَّة حقٌّ ، والنَّار حقٌّ ، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعث من في القبور .

قوله : " وأنَّ الجنَّة حقٌّ ، والنَّار حقٌّ " أي أنَّ أهل السنة والجماعة يؤمنون بأنَّ الجنة والنار موجودتان ؛ الجنة دار المؤمنين ، والنار دار الكافرين ، فهم يؤمنون بوجودهما ، وأنهَّما معدَّتان ، كلَّ واحدةٍ منهما معدةٌ لأصحابها ، وأنهما لا تفنيان أبداً .

قوله : " وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنَّ الله يبعث من في القبور " أي أنَّ الساعة آتيةٌ لابدَّ أن تقع ؛ لاشك ولا ريب في وقوعها ؛ وهو اليوم الذي يفصل فيه بين العباد .

٢٧- وأنَّ الله استوى على عرشه ؛ كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] .

٢٨- وأنَّ له سبحانه وجهاً بلا كيف ؛ كما قال : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

٢٩- وأنَّ له سبحانه يدين بلا كيف[١] ؛ كما قال سبحانه : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ [ص : ٧٥] وكما قال ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ [المائدة : ٦٤] .

٣٠- وأنَّ له سبحانه عيناً بلا كيف ؛ كما قال سبحانه : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ [القمر : ١٤] .

٣١- وأنَّ من زعم أنَّ اسم الله[٢] غيره كان ضالاً .

قوله : " وأنَّ الله تعالى استوى على عرشه ؛ كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ " فأهل السنة يقولون : استوى استواءً يليق بجلاله .

قوله : " وأنَّ له سبحانه وجهاً بلا كيف ؛ كما قال : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ " أي نثبت له سبحانه وجهاً لا يشبه وجوه المخلوقين ؛ كما قال تعالى :﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ .

---

١) وفي نسخة ابن عساكر : " وأنَّ له يداً " .
٢) وفي نسخة : " أسماء " .

قوله : " وأنَّ له سبحانه يدين بلا كيف ؛ كما قال سبحانه : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ وكما قال ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ " فنؤمن بأنَّ لله يدين ، ولا يجوز أن نشبه يديه بيدي خلقه ، أو نعطله عنهما ، ولا نقول كيف ؟ وأنَّ الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة ، كذلك في جميع صفات الله ﷻ ، إذا آمنا بصفة من صفاته ؛ وللمخلوقين صفة تسمى بهذا الاسم ، فإنَّنا في هذه الحالة لا يجوز أن نشبه يديه بأيدي المخلوقين ، ولا نمثلها بها ، ولا نعطله عنها ؛ بل نعتقد أنَّ لله صفاتٍ تليق بجلاله.

قوله : " وأنَّ له سبحانه عيناً بلا كيف ؛ كما قال سبحانه : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ " يعني أنَّا نُثبت له عينين بدون كيفية ؛ بل نعتقد كمالها ، فنعتقد أنَّ له عينين لا تشبه أعين المخلوقين .

قوله : " وأنَّ من زعم أنّ اسم الله غيره كان ضالاً " أقول : الاسم في اللغة علَمٌ على المسمَّى ، فلا يقال أنَّه هو المسمى ، ولا يقال أنَّه غير المسمَّى ، وفي هذا خلافٌ ، وكلامٌ كثير ، والذي تبين أنَّه هو الحق أنَّ الاسم هو اللفظ الدال على المسمَّى ؛ وهو للمسمَّى وليس هو المسمَّى ، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٦ / ٢٠٦) : " وأمَّا الذين يقولون أنَّ الاسم للمسمَّى ؛ كما يقوله أكثر أهل السنة ، فهؤلاء وافقوا الكتاب ، والسنة ، والمعقول ؛ قال الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ وقال : ﴿ أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وقال النبي ﷺ : ((إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً)) [البخاري ٧٣٩٢ - مسلم ٦٧٥١] عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((إنَّ لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد)) وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً [البخاري ٣٥٣٢ - مسلم ٦٠٥٩] " اهـ .

لذلك فإنَّنا نقول أنَّ أسماء الله الحسنى هو سمَّى نفسه بها ؛ كما أنَّ صفاته هو وصف نفسه بها ، فأسماؤه غير مخلوقة ؛ بل هي دالة على ذاته سبحانه وتعالى ، وصفاته غير مخلوقة ؛ لأنَّه هو الذي سمى نفسه بها ، ووصف نفسه بها ، وما كان منه فليس بمخلوق ، فتعين أنَّ الأسماء هي

أعلام على المسمَّى بها ، وهي للمسمَّى ، وأنَّ من يقول أنَّ أسماء الله هي الله ؛ قد تقدم الجواب عليه ، فلا يقال : أنهَّا هي الله ، ولا يقال : أنهَّا غير الله .

ومراد المعتزلة والخوارج حينما يقولون : " أنَّ الاسم هو غير المسمَّى " يريدون بذلك أنَّ اسم الله مخلوق ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في (٦/١٨٥ – ١٨٦) : " والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد ، وغيره ؛ الإنكار على الجهمية ؛ الذين يقولون أنَّ أسماء الله مخلوقة ، فيقولون أنَّ الاسم غير المسمَّى ، وأسماء الله غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق ، وهؤلاء هم الذين ذمَّهم السلف ، وغلَّطوا فيهم القول ، لأنَّ أسماء الله من كلامه ، وكلام الله غير مخلوق ؛ بل هو المتكلم به ؛ وهو المسمِّي لنفسه بما فيه من الأسماء ، والجهمية يقولون : كلامه مخلوق ، وأسماؤه مخلوقة ، وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ، ولا سمَّى نفسه باسم هو المتكلم به ؛ بل يقولون : أنَّه تكلم به ، وسمَّى نفسه بهذه الأسماء ؛ بمعنى أنَّه خلقها في غيره لا بمعنى أنَّه نفسه تكلَّم بها الكلام القائم به ، فالقول في أسمائه ؛ هو نوعٌ من القول في كلامه " ا هـ .

٣٢- وأنَّ لله علماً ؛ كما قال : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ [النساء : ٦٦] وكما قال : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاَّ بعلمه ﴾ [فصلت : ٤٧] .

قوله : " وأنَّ لله علماً ؛ كما قال : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ وكما قال : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاَّ بعلمه ﴾ " أقول : صفة العلم ثابتةٌ لله تعالى ، وقد جاءت بصيغ متعددة ، فتأتي تارة بصيغة المضارع المستوعبة لكل ما في الكون ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] وتارة يأتي باسم الفاعل على صيغة المبالغة ؛ كقوله : ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ وكما في هذه الآية : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا

تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٧] فعلم الله شامل للدقيق والجليل ، والكثير والقليل ، لا تفوته ذرةٌ ولا أدنى منها ؛ كما قال : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

٣٣- ونثبت أنَّ لله قدرة ؛ كما قال : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ١٥] .

٣٤- ونثبت لله السمع والبصر ؛ ولا ننفي ذلك ؛ كما نفته المعتزلة ، والجهمية ، والخوارج ، ونقول : إنَّ كلام الله غير مخلوق ، وإنَّه سبحانه لم يخلق شيئا إلاَّ وقد قال له : ﴿ فكن فيكون ﴾ كما قال :﴿ إنَّما قولنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ [النحل : ٤٠] .

٣٦- وأنَّه لا يكون في الأرض شيءٌ من خير ، وشر إلاَّ ما شاء الله ، وأنَّ الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل ؛ وأنَّ أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله ، ولا نستغني عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل .

قوله : " ونثبت أنَّ لله قدرة ؛ كما قال : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾

" أقول : قوة الله عز وجل تفوق كلَّ القوى ، تأمل أخي المسلم كيف عذب الله قوم عاد المفتخرين بقوتهم ، الذين قالوا : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ وكيف سلَّط الله عليهم الريح التي تحمل الواحد منهم في الهواء مع ضخامة جسمه ، وتسفُّه بالحجارة ؛ فتقتلع رأسه ؛ حتى يكون الواحد منهم كأنَّه ريشة ، فكانوا كما وصفهم الله :﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧] .

---

١) وفي نسخة الأصول : " قوة " كما في نسخة شيخنا النجمي – رحمه الله – ، والتي علق عليها هنا في هذا الكتاب .

٢) هذه الفقرة لم يعلق عليها شيخنا النجمي – رحمه الله – ؛ لأنها لم تكن في نسخته .

قوله : " ونثبت لله السمع والبصر ؛ ولا ننفي ذلك ؛ كما نفته المعتزلة ، والجهمية ، والخوارج "

أقول : نحن نثبت لله سمعاً لا كأسماع المخلوقات ، وبصراً على الوجه اللائق بجلاله لا كأبصار المخلوقات ؛ سمعاً يسمع به كلَّ الأصوات ، وكلَّ الحركات ، وبصراً ينفذ إلى كلِّ شيءٍ ؛ لا تحجبه الحجب ، ولا تمنعه الموانع ، يرى ما في تضاعيف الأرض ، وما في بطون البحار ، كل ذلك يعلمه ويراه .

قوله : " وأنَّه لا يكون في الأرض شيءٌ من خير ، وشر إلاَّ ما شاء الله " هذه الفقرة فيها إثبات القدر ، وأنَّ كلَّ شيء يعمله الناس ؛ فهو مقدَّرٌ من الله ﷻ ، والدليل قوله تعالى :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] وقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] وقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١١] وقوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [الإنسان : ٢] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : " وأنَّ الأشياء تكون بمشيئة الله ﷻ ؛ وأنَّ أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله ، ولا نستغني عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله ﷻ " هذه الفقرة أيضا فيها إثبات القدر ، وقد قسَّم أهل العلم الإرادة إلى إرادتين :

١- إرادة كونية قدرية .

٢- إرادة شرعية .

فالإرادة الكونية القدرية : هي التي جمعت الخير والشر ، والكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان .

أمَّا الإرادة الشرعية : فهي التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وأمر الناس أن يتبعوها ، فالإرادة الشرعية تتحقق في المؤمن ، وتتحقق فيه الإرادتان الشرعية والكونية .

والإرادة الكونية هي الإرادة العامة التي كتب فيها كل شيء ، وقد جاء في الحديث : ((إن أول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب، فقال ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى

الأبد)) [1] فالإرادة الكونية القدرية لا يستطيع أحدٌ أن يخرج عنها . أما الإرادة الشرعية ؛ فكما تقدَّم؛ هي التي تحققت في المؤمنين ؛ كما قال ﷻ : ﴿ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٨- ٢٩] إلاَّ أنَّه ينبغي أن يعلم أنَّ لله على عباده الحجة الدامغة ، وله الحكمة البالغة ، يجعل من يشاء سعيداً بفضله ، ويجعل من يشاء شقياً بعدله ، فالناس هم الذين يعملون الكفر مختارين ، ويعملون المعاصي مختارين ، والله لا يظلم أحداً من عباده ؛ كما قال جل من قائل : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء : ٤٠] وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] إلا أنَّه يثبت الشقاء على العبد بسبب إعراضه ؛ كما يقول ﷻ : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] وكما يقول ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] اللهم إنَّا نعوذ بك من الزيغ ، لذلك قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله .

٣٧- وأنَّه لا خالق إلا الله ، وأنَّ أعمال العباد مخلوقةٌ لله مقدورةٌ له كما قال سبحانه : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصافات : ٩٦] وأنَّ العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون ؛ كما قال : ﴿ هل من خالقٍ غير الله ﴾ [فاطر : ٣] وكما قال : ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ [النحل : ٢٠] وكما قال سبحانه : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ [النحل : ١٧] وكما قال : ﴿ أم خلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون ﴾ [الطور : ٣٥] وهذا في كتاب الله كثير .

٣٨- وأنَّ الله وفَّق المؤمنين لطاعته ، ولطف بهم ، ونظر إليهم ، وأصلحهم ، ونظر لهم ، وهداهم ؛ وأضل الكافرين ، ولم يهدهم ، ولم يلطف بهم بالإيمان ؛

---

١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة باب القدر ، وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن أبي داود ، وأخرج الحديث الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، وأخرجه أيضاً في كتاب تفسير القرآن باب سورة ﴿ ن * والقلم﴾ من حديث عبادة ابن الصامت ﷺ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب . وقد صحح الحديث الإمام الألباني – رحمه الله – في صحيح الجامع برقم الحديث (٢٠١٧) .

كما زعم أهل الزيغ والطغيان ، ولو لطف بهم ، وأصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ [الأعراف : ١٧٨] .

وأنَّ الله يقدر أن يصلح الكافرين ، ويلطف بهم ؛[١] حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنَّه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ؛ وأنَّه خذلهم ، وطبع على قلوبهم .

قوله : " وأنَّه لا خالق إلا الله ، وأنَّ أعمال العباد مخلوقةٌ لله مقدورةٌ له كما قال سبحانه : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [الصافات : ٩٦] وأنَّ العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون ..." الخ ، مقتضى هذا كما قال أهل السنة والجماعة أنَّ الكفر والمعاصي ؛ هي من الله خلقاً وتقديراً ، ومن العباد كسباً وإيجاداً ، والإيمان بالقضاء والقدر ركنٌ من أركان الإيمان ، فلا يصح الإيمان إلا بذلك .

قوله : " وأنَّ الله وفَّق المؤمنين لطاعته ، ولطف بهم ، ونظر إليهم ، وأصلحهم ، ونظر لهم ، وهداهم ؛ وأضل الكافرين ، ولم يهدهم ، ولم يلطف بهم بالإيمان ... " الخ ، وأقول الدليل على ذلك قول الله ﷻ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : ١١٨ - ١١٩] وقوله : ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : ((كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ ، فَنَكَّسَ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ

---

١) وفي نسخة ابن عساكر : " لهم " .

فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ؟ قَالَ : أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ الآية)) .(١)

٣٩- وأنَّ الخير والشر بقضاء الله وقدره ، وأنَّا نؤمن بقضاء الله وقدره ؛ خيره وشره ؛ حلوه ومره ، ونعلم أنَّ ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وأنَّا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً إلاَّ ما شاء الله عز وجل : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاَّ ما شاء الله ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .(٢)

٤٠- وأنَّا نلجأ في أمورنا إلى الله ، ونثبت الحاجة والفقر في كلِّ وقتٍ إليه .

قوله :" وأنَّ الخير والشر بقضاء الله وقدره ، وأنَّا نؤمن بقضاء الله وقدره ؛ خيره وشره ؛ حلوه ومره ، ونعلم أنَّ ما أصابنا لم يكن ليخطئنا ، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وأنَّا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً إلاَّ ما شاء الله ﷻ : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاَّ ما شاء الله ﴾ [الأعراف:١٨٨] .

وقوله " وأنَّا نلجأ في أمورنا إلى الله ، ونثبت الحاجة والفقر في كلِّ وقتٍ إليه " أي أنَّه يجب على العباد أن يسألوا الله عز وجل الخير ، ويستعيذوا به من الشر ، يسألونه أن يوفقهم للإيمان والتقوى ، ويرزقهم العمل بذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] فنحن كما كنَّا فقراء إليه في إيجادنا ، وفقراء إليه في حفظ وجودنا ؛ كذلك نحن فقراء إليه في هدايتنا ، وتوفيقنا ، وفقراء إليه أن يثبتنا على الحق حتى نلقاه ، ومن أجل ذلك ؛ فإنَّه ينبغي للعبد أن يسأل الله دائماً التوفيق والهدى ، كما يسأله الرزق والغنى ، والله لا يردُّ أحداً عن بابه ، فمن طرق الباب على الله عز وجل من طريق محمد ﷺ فإنَّ الله لا يرده إذا سأله مخلصاً لهداية هداه ، وإذا رغب إليه في الكفاية كفاه ، وقنَّعه بما أعطاه ، وعلى العبد أن يلجأ إلى الله بدعائه ، والتقرب إليه بطاعته ، من توحيدٍ ، وصلاةٍ ، وصيامٍ ، وصدقةٍ ، وقراءةٍ للقرآن ، وذكرٍ له ﷻ .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله ، وأرده أيضاً في كتاب تفسير القرآن باب ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ وباب قوله تعالى : ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر في باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته .

٢) وفي نسخة الأصول : " وأنَّ العباد لايملكون لأنفسهم ضراً ولانفعاً " .

٤١= ونقول : إنَّ القرآن كلام اللّه غير مخلوق ، وأنَّ من قال بخلق القرآن ؛ فهو[١] كافر .[٢]

قوله : " ونقول : إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنَّ من قال بخلق القرآن ؛ فهو كافر " يعود إلى أهل السنة والجماعة .

وقوله : " أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق " الدليل على ذلك آيات من القرآن الكريم ؛ كقوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦] وقوله جل من قائل : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] وقوله ﷻ : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ [الكهف : ١٠٩] وقوله في عيسى ابن مريم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء : ١٧١] فقالوا أنَّ عيسى خلق بالكلمة ، ولم يكن هو الكلمة .

فهذه الآيات دالةٌ على أنَّ القرآن كلام الله ، وكلام الله ﷻ منه ، وما كان منه ؛ فهو غير مخلوق .

---

١) وفي نسخة ابن عساكر : " كان كافراً " .

٢) وفي نسخة شيخنا النجمي زيادة : " والكلام في الوقف واللفظ ؛ من قال باللفظ أو بالوقف ؛ فهو مبتدعٌ عندهم ؛ لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوقٌ ، ولا يقال غير مخلوق " وقال شيخنا النجمي معلقاً عليها بقوله رحمه الله : " وقوله : " والكلام في الوقف واللفظ ؛ من قال باللفظ أو بالوقف ؛ فهو مبتدعٌ عندهم ؛ لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوقٌ ، ولا يقال غير مخلوق " نظراً لأنَّ اللفظ يقع على اللفظ نفسه ، وعلى الملفوظ به ؛ فلهذا الاحتمال كره السلف رحمهم الله أن يقول الإنسان : لفظي بالقرآن مخلوق ، ومن أجل ذلك بَدَّعَ الإمامُ أحمدُ ؛ الحسينَ بن علي الكرابيسي ، ونهى عن إتيانه ، والسماع منه " اهـ .

٤٢- وندين بأنَّ اللّه سبحانه تعالى يرى في الآخرة[١] بالأبصار ؛ كما يرى القمر ليلة البدر ؛ يراه المؤمنون ؛ كما جاءت الروايات عن رسول اللّه ﷺ .

ونقول إنَّ الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة ؛ كما قال اللّه عز وجل : ﴿ كلا إنَّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥] وأنَّ موسى عليه الصلاة والسلام سأل اللّه سبحانه الرؤية في الدنيا ، وأنَّ اللّه سبحانه تجلَّى للجبل، فجعله دكًّا ، فأعلم بذلك موسى أنَّه لا يراه في الدنيا .

قوله : " وندين بأنَّ الله سبحانه تعالى يرى في الآخرة بالأبصار ؛ كما يرى القمر ... " الخ .

وأقول الدليل على رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة قول الله ﷻ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] فقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ وصفٌ لها بالنضرة ، وقوله : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أي : ناظرة إليه ؛ متلذذة بالنظر إليه سبحانه ، وهذا التفسير هو التفسير الأصح ؛ أما تفسير من يقول : منتظرةٌ فهو غير صحيح ، أو فيه نظر ، ولما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٢] ، والاستدلال بقصة موسى ، وسؤاله الرؤية استدلالٌ جيد ؛ إذ لو كانت الرؤية ممكنة في حقه في الدنيا لأعطاه ذلك ، ولكن قال : ﴿ لن تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] أي : لن تراني في الدنيا ، فالنفي هنا في الدنيا فقط ، وليس في الدنيا والآخرة ، كما تقوله المعتزلة ، والدليل على ذلك أيضا أنَّ الكفار يحجبون عن ربهم ، ومفهومه العكسي أنَّ المؤمنين بخلاف ذلك ، ومن الأدلة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم قوله ﷺ في حديثه عن الدجال : ((وَأَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى تَمُوتُوا))[٣] .

---

١) وفي نسخة ابن عساكر : " يوم القيامة " .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان معرفة طريق الرؤية .

٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت (٤٦ /٢٤٧) برقم الحديث (٢١٧٠١) وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى (٤١٩/٤) رقم الحديث (٧٧٦٤) وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم الحديث (٢٣١٢) .

٤٣- وندين بأن لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه كالزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ؛ كما دانت بذلك الخوارج ، وزعموا أنَّهم بذلك كافرون .[1]

ونقول : إنَّ من عمل كبيرةً من هذه الكبائر مثل الزنا ، والسرقة ، وما أشبهها مستحِلاً لها غير معتقدٍ بتحريمها كان كافراً .

ونقول : إنَّ الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كلُّ إسلامٍ إيمان .

قوله : " وندين بأن لا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه كالزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ؛ كما دانت بذلك الخوارج ، وزعموا أنَّهم بذلك كافرون ... " الخ ، وأقول : تكفير أهل الإسلام بالذنوب هذه طريقة الخوارج ، والمعتزلة يقولون في أهل الكبائر هم في منزلة بين المنزلتين لا مؤمنين ولا كفاراً ؛ أمَّا أهل السنة والجماعة ؛ فهم يقولون : صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه ، فاسق بخطيئته ، أي أنَّه مؤمنٌ ناقص الإيمان ، ويستدلون على ذلك بقول الله ﷻ : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:٩-١٠] فاعتبرهم مؤمنين بإيمانهم ذلك ؛ مع وجود الاقتتال بينهما وهو كبيرة من الكبائر .

ويستدلون على ذلك أيضاً بقوله تعالى في القتل والعفو على الدية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٨] فسمى الله القاتل أخاً مع ما بينهما من القتل ، وعن عمر بن الخطاب ﷺ :

((أنَّ رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حماراً ، وكان يُضحِك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ؛ فأتي به يوماً ، فأمر به فجلد ، فقال رجلٌ من القوم :

---

١) وفي نسخة ابن عساكر : " ونرى " .

اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به ؟ فقال النبي ﷺ : لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله))[1]. وعن أبي هريرة ﷺ قال : ((أتي النبي ﷺ بسكرانٍ ؛ فأمر بضربه ، فمنَّا من يضربه بيده ، ومنَّا من يضربه بنعله ، ومنَّا من يضربه بثوبه ، فلما انصرف ؛ قال رجل : ما له أخزاه الله ؟!! فقال رسول الله ﷺ : لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم))[2] رواه البخاري ، وعن عمران بن حصين ﷺ : ((أنَّ امرأةً من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنى ؛ فقالت يا نبي الله : أصبت حدّاً فأقمه عليَّ ، فدعا نبي الله ﷺ وليها ، فقال : أحسن إليها ؛ فإذا وضعت فائتني بها ، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ ؛ فشُكَّت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم صلَّى عليها ، فقال له عمر : تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت توبةً لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟))[3].

فهذه الأدلة كلُّها تدل على أنَّ مرتكب الكبائر لا يخرج من الإسلام ، ولكن يقال له مسلم فاسق ، بخلاف رأي الخوارج ، والمعتزلة ؛ أمَّا المرجئة فيقولون أنَّ المسلم الذي عمل الكبائر ؛ إيمانه كاملٌ كإيمان جبريل وأبي بكر ، ومذهبهم باطلٌ أيضاً ، كما أنَّ مذهب الخوارج والمعتزلة باطلٌ، والحق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر ، وإنَّه ليس بخارجٍ من الملة من حديث عمر بن الخطاب ﷺ .

٢) سبق تخريجه في الحديث قبله .

٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى .

٤٤- ونـدين بـأنَّ اللّه تعـالى يقلـب القلـوب : ((وأنَّ القلـوب بـين أصـبعين مـن أصابعه)) وأنَّ اللّه عـز وجـل : ((يضـع السـموات والأرضـين علـى أصـبع لإيمـان عندهم هو الإيمان باللّه ، وملائكتـه ، وكتبـه ، ورسـله ، وبالقـدر خـيره وشـره ؛ حلـوه ومـره ، وأن مـا أخطـأهم لم يكـن ليصـيبهم ، ومـا أصـابهم لم يكـن ليخطئهم.

٢٥- والإسلام هو أن يشهد أن لا اله إلا اللّه ، وأنَّ محمداً رسول اللّه ؛ على ما جاء في الحديث ، والإسلام عندهم غير الإيمان .

قوله : " والإيمان عندهم هو الإيمان باللّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبالقدر خيره وشره ؛ حلوه ومره ، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وما أصابهم لم يكن ليخطئهم " أقول : تقدم الكلام على الإيمان باللّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله[١] ، وتقدم الكلام على الإيمان بالقدر خيره وشره بتوسع.[٢]

قوله : " والإسلام هو أن يشهد أن لا اله إلا اللّه ، وأنَّ محمداً رسول اللّه ؛ على ما جاء في الحديث ، والإسلام عندهم غير الإيمان " أقول الإسلام فسر في حديث جبريل وغيره بالأركان الخمسة ، فالشهادتين ركنٌ ، وإقامة الصلاة ركنٌ ، وإيتاء الزكاة ركنٌ ، وصوم رمضان ركنٌ ، وحج بيت اللّه ركنٌ ، فهذه الأركان الخمسة هي الإسلام من أقر بها ، وعملها ؛ فهو المسلم .

والإسلام والإيمان مترادفان يطلق كلٌّ منهما على الآخر ، فإن أطلق الإسلام ؛ فالإيمان داخل فيه ، وإن أطلق الإيمان ؛ فالإسلام داخل فيه ، وإذا أطلقا معاً فالإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة ، والإيمان يطلق على العقائد الباطنة ، لأنَّ النبي صلى اللّه عليه وسلم فسَّره لجبريل حين سأله بما ذكر ، فقال : ((أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ ؛ قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ؛ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ

---

١) سبق الحديث عن هذه الأركان في أول الشرح من ص ٨ - ١٠ .

٢) سبق الحديث عن القدر خيره وشره ص ١٤ .

الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : أَن تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ)) .[1]

٢٦- ويقرون بأنَّ اللّه سبحانه مقلب القلوب .

٢٧- ويقرون بشفاعة رسول اللّه ، وأنهَّا لأهل الكبائر من أمته .

قوله : " ويقرون بأنَّ الله سبحانه مقلب القلوب " يشهد لهذه الفقرة أنَّ النبي ﷺ كان يقول دائماً : ((يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ))[2] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول : ((أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول : إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحدٍ يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك))[3]

وعن شهر بن حوشب رضي الله عنه قال : ((قلت لأم سلمة : يا أمَّ المؤمنين : ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؛ قالت : فقلت يا رسول الله : ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؛ قال : يا أم سلمة إنَّه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ؛ فمن شاء أقام ، ومن شاء أزاغ ، فتلا معاذ ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾)) والله ﷻ يقول : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] فالقلوب بيد مقلبها ، فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

قوله : " ٢٧- ويقرون بشفاعة رسول الله ، وأنهَّا لأهل الكبائر من أمته " دل على ذلك حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي))[4] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدرة الله من حديث عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما .

٢) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية من حديث النواس بن سمعاني الكلابي رضي الله عنه ، وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة برقم الحديث (٢٠٩١) .

٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء .

٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب في الشفاعة ، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أنس أيضاً ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس (٢٦ / ٢٩٢) برقم الحديث (١٢٧٤٥) وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم الحديث (٣٧١٤) .

وشفاعته ﷺ تنال من مات على التوحيد من أمته ؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أنَّه قال : ((قلت يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك ؛ لما رأيت من حرصك على الحديث ؛ أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه))[1] والله ﷻ يكرم الشافع بالشفاعة ، ويرحم المشفوع له بها ؛ لكنَّها لا تطلب إلا من الله ، فلا يجوز للعبد أن يقول : يا رسول الله اشفع لي ! فلا تطلب الشفاعة من الرسول ﷺ ، ولا من غيره ، وإنما تطلب من الله وحده ؛ كما قال سبحانه :

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر : ٤٤]

وأنواع الشفاعة سبع ؛ منها ثلاثة خاصة بالنبي ﷺ :

الشفاعة الأولى : وهي أعظمها الشفاعة في فصل القضاء ، وهي تأتي إلى النبي ﷺ بعد أن تعرض على آدم ، وأولوا العزم من الرسل عليهم السلام ، فكلهم يردونها ، فإذا وصلت إلى النبي ﷺ قال : ((أنا لها)) ، فيشفع إلى ربه في فصل القضاء ، ولذلك ورد في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك – وقال ابن عبيد : فيلهمون لذلك – فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؛ قال : فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم ؛ فيقولون : أنت آدم أبو الخلق ؛ خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ؛ اشفع لنا عند ربك ؛ حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هُنَاكُم ، فيذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله ؛ قال : فيأتون نوحاً صلى الله عليه وسلم ؛ فيقول : لست هُنَاكُم ، فيذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذي اتخذه الله خليلاً ، فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ؛ فيقول : لست هُنَاكُم ، ويذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله ، وأعطاه التوراة ؛ قال : فيأتون موسى عليه السلام ؛

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ، وأخرجه في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .

فيقول : لست هُنَاكُم ، ويذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله ، وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله ، وكلمته ، فيقول : لست هُنَاكُم ، ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتوني ، فأستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك ؛ قل تسمع ؛ سل تعطه ؛ اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ، ثم أشفع ، فيحد لي حداً ، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود ، فأقع ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع رأسك يا محمد ؛ قل تسمع ؛ سل تعطه ؛ اشفع تشفع ؛ فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لي حداً ، فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ؛ قال : فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة ؛ قال : فأقول : يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ، ووجب عليه الخلود ؛ قال أبو عبد الله : إلاَّ من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى : ﴿ خالدين فيها ﴾)) .

الشفاعة الثانية : من خصائصه وهي الشفاعة في فتح باب الجنة ؛ عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :((أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ،وأنا أول من يقرع باب الجنة))[٢] .

الشفاعة الثالثة : هي الشفاعة في عمه أبي طالب من إخراجه من غمرة النار إلى ضحضاح فيها ؛ دل على ذلك حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ أنَّه قال : ((يا رسول الله : هل نَفَعْتَ أبا طالب بشيء فإنَّه كان يحوطك ، ويغضب لك ؟ قال : نعم ؛ هو في ضحضاحٍ من نارٍ ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار))[٣] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة ﴾ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب في قول النبي ﷺ أنا أول شافع يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً .

٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب كنية المشرك ، وأخرجه في كتاب المناقب باب قصة أبي طالب ، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ والتخفيف عنه بسببه .

أولاً : الشفاعة في قوم استحقوا النار بذنوبهم ، فيشفع فيهم النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من الشافعين ، فيعفو الله عنه ، ويدخلهم الجنة بدون عذاب .

ثانياً : الشفاعة في أناس دخلوا النار فيشفع فيهم الشافعون ، ويخرجهم الله من النار ، ويدخلهم الجنة .

ثالثاً : الشفاعة في أهل الأعراف ؛ حيث يشفع فيهم الشافعون فيدخلهم الجنة .

رابعاً : الشفاعة في أقوام استحقوا درجات لأعمالهم ؛ فيشفع لهم النبي ﷺ أن ترفع درجاتهم فوق ما يستحقون ، وهذه الأربعة يشارك فيها النبي ﷺ أقوامٌ من المؤمنين أو الرسل أو الصديقين أو الشهداء .

فأنواع الشفاعات سبعٌ ؛ ثلاث خاصة بالنبي ﷺ ، وأربعٌ مشتركة بينه وبين غيره .

٢٨- وبعذاب القبر ، وأنَّ الحوض حقٌّ ، والصراط حقٌّ ، والبعث بعد الموت حقٌّ ، والمحاسبة من اللّه عز وجل للعباد حقٌّ ، والوقوف بين يدي اللّه حقٌّ .

قوله : " وبعذاب القبر ، وأنَّ الحوض حقٌّ ، والصراط حقٌّ ، والبعث بعد الموت حقٌّ ، والمحاسبة من الله ﷻ للعباد حقٌّ ، والوقوف بين يدي الله حقٌّ " .

فقوله : " وبعذاب القبر " يعني : أنهَّم يقرون بعذاب القبر ، وعذاب القبر ثابتٌ بالكتاب والسنة . أمَّا الكتاب فقوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] وقوله : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] . وأمَّا من السنة : ففي الحديث المتفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة ؛ فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال : يعذبان وما يعذبان في كبير ، وإنَّه لكبير ؛ كان أحدهما لا يستتر من البول ، وكان الآخر يمشي بالنميمة ، ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين أو ثنتين ، فجعل كسرةً في قبر

هذا ، وكسرةً في قبر هذا فقال : لعلَّه يخفف عنهما ما لم ييبسا))[1] وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : ((دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عُجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ؛ فَقَالَتَا لِي : إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَكَذَّبْتُهُمَا ، وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا ، فَخَرَجَتَا ، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ ، وَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ : صَدَقَتَا ؛ إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا ، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ))[2] وفي الحديث عَنْ عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : ((مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ؛ فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ؛ يُقَالُ : مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ : لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ ، فَيَقُولُ هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا ، فَيُقَالُ : نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ . وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي ؟ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ))[3].

وقوله : " وأنَّ الحوض حقٌّ " وأقول قد وردت أحاديث في الحوض تبلغ حد التواتر ، وأنَّ النبي ﷺ له حوضٌ ؛ طوله شهرٌ ، وعرضه شهرٌ ، وأنَّ المسلمين يردون عليه يوم القيامة كأظمأ ناهلة ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : ((إنيِّ على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، و سيؤخذ أناسٌ دوني ؛ فأقول : يا رب مني و من أمتي ! فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ و الله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم))[4].

---

١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب من الكبائر ألا يستتر من بوله ، وفي باب ما جاء في غسل البول ، وفي كتاب الجنائز باب الجريد على القبر ، وفي باب عذاب القبر من الغيبة والبول ، وفي كتاب الأدب باب الغيبة ، وفي باب النميمة من الكبائر ، وأخرجه مسلم في كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه .

٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التعوذ من عذاب القبر .

٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، وفي كتاب الوضوء باب من لم يتوضأ إلاَّ من الغشي المثقل ، وأخرجه في كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أمَّا بعد ، وفي كتاب الجمعة باب في صلاة النساء مع الرجال في الكسوف ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه مسلم في كتاب الكسوف باب ذكر عذاب القبر في صلاة الكسوف ، وفي باب ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار .

٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق بابٌ في الحوض ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل بابٌ إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وفي رواية عن أبي حازم قال سمعت سهل بن سعد ﷺ يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : ((أنا فرطكم على الحوض ؛ من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ؛ ليردنَّ علي أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم)) قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش ؛ وأنا أحدثهم هذا ؛ فقال : هكذا سمعتَ سهلاً ؟ فقلت : نعم . قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : ((إنهَّم مني ؛ فيقال إنَّك لا تدري ما بدلوا بعدك ؛ فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي)) .[1]

وقوله : " والصراط حقٌ " الصراط تعريفه هو : جسرٌ يمدُّ على نار جهنم يمرُّ عليه الموحدون ، ولا يصل أحدٌ إلى الجنة إلا أن يعبر عليه ، وهذا تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَّقْضِيّاً ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [مريم : ٧١] فالكفار ، والمشركون ، والملحدون والزنادقة ؛ كل هؤلاء يساقون إلى النار ؛ والعياذ بالله ، ويدخلون من أبوابها ، ولها سبعة أبواب ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : ٤٤] ونسأل الله العفو والعافية .

أمَّا الموحدون ؛ وهم عصاة المسلمين من كل أمةٍ ؛ فهؤلاء يمرون على الصراط ؛ وهو جسرٌ ممدودٌ على نار جهنم ؛ أدق من الشعر ، وأحدُّ من السيف ، لا يمر عليه أحد إلا بعونٍ من الله .

وهذا الصراط الحسي هو الصراط المعنوي الذي في الدنيا ؛ يتجسد يوم القيامة ، فيكون حسياً ، والصراط المعنوي ؛ هو الذي أشارت إليه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وعلى الصراط كلاليب تخطف من أمرت بخطفه ، وتلقيه في نار جهنم ، ثمَّ هؤلاء الذين يتساقطون في النار ؛ يبقون فيها كما يشاء الله ، وبقدر ما يشاء الله ، ثم يخرجهم الله منها ؛ إمَّا بشفاعة الشافعين ، وإمَّا برحمة أرحم الراحمين .

---

١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق بابٌ في الحوض .

ويكون خروجهم بحسب ما عندهم من الإيمان والخير ، فيقول الله ﷻ بعد الشفاعة : ((انظروا من كان في قلبه زنة دينار من إيمان فأخرجوه))[1] ((ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً))[2] ((يخرج من النار من قال لا إله إلاَّ الله وفي قلبه أدنى وزن شعيرةٍ من إيمان))[3] ((أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان))[4] ((اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا))[5] ((فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ ؛ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ؛ قَدْ عَادُوا حُمَمًا ، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ؛ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ))[6] فإذا كان بعد أن يدخل كل أهل الجنة الذين كتبوا من أهلها يدخلون الجنة ، ويبقى فيها فضلٌ عن أهلها ، ولكن هذا بعد ماذا ؟ قد يكون بعد عذابٍ يطول آلاف السنين : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] نعوذ بالله ، فهؤلاء المعذبون يطرحون على نهرٍ في أفواه الجنة ، فينبتون فيه كالحبة في حميل السيل ، ثم بعد ذلك يمرون على نهرٍ آخر ؛ فيشربون منه ، فيذهب عنهم الطوف ؛ يعني البول والغائط ، وكل الأذى ، وتكون فيهم علامةٌ يعرفون بها في الجنة يقال هؤلاء : الجهنميون ؛ في أعناقهم الخواتيم ، يقال : هؤلاء عتقاء الله .

---

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢ / ٢٤٨) برقم الحديث (١٠٧٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ، وقال شعيب الأرناؤوط : " إسناده حسن " .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ، وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

٣) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه من حديث أنس بن مالك ﷺ .

٤) هذه الرواية أخرج بنحوها البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، وأخرجها مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، وباب أدنى أهل الجنة منزلة من حديث أنس .

٥) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ .

٦) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي هريرة ﷺ .

هذا كلُّ ما يتعلق بالصراط يمرون عليه كلمح البصر ، وكالبرق ، وكالريح ، وكأجاويد الخيل ، وكسعي الرجال ، ومنهم من يمشي ، ومنهم من يزحف على بطنه ؛ فيطأ الجمرة ؛ فيقول : ((حَسٌ ؛ يقول ربك عز وجل : أوانه))[1] نسأل الله العفو والعافية .

وقوله : " والبعث بعد الموت حقٌّ " البعث بعد الموت كائنٌ ؛ وذلك في اليوم الآخر ، فقد ورد من الأخبار عن هذا اليوم أنَّه تكون فيه نفخة الفزع ؛ وتطول ؛ يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [ص : ١٥] أي رجوعٌ إلى الدنيا ، ثم يتلوها نفخة الصعق ، وهي التي يموت منه الناس جميعاً ؛ لا يبقى حيٌّ إلا مات ؛ حتى حملة العرش ، وجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، ولا يبقى إلا ربُّ العزة ، ويأتي تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦ -٢٧] وقد ورد في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ؛ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟))[2] .

وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] وقد روي في الحديث : ((فإذا صعقوا جميعاً يقول الله عز وجل : يا إسرافيل من بقي ؟ فيقول : بقي إسرافيل عبدك الضعيف ، فيقول : متْ يا إسرافيل ؛ فيموت ، ثم يقول الجبار تعالى : لمن الملك اليوم ؟ فلا هميس ، ولا حسيس ، فلا ناطق يتكلم ، ولا مجيب يفهم ، وقد مات حملة العرش ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وكل مخلوق ؛ فيرد الجبار على نفسه لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب))[3] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٢ / ٤٣٢) برقم الحديث (٥٦١٧) من حديث أبي رزين ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤ / ٩٨) برقم الحديث (١٥٨١٠) من حديث عاصم بن لقيط عن أبيه رضي الله عنهما ، وقال الإليباني رحمه الله في تخريج السنة (ص٦٣٦) : " إسناده ضعيف " وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٥ / ٧٢) : " غريبٌ جداً ، وألفاظه في بعضها نكارة " .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في أول كتاب صفة القيامة والجنة والنار .

٣) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان الباب الثامن باب حشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم – فصلٌ في كيفية انتهاء الحياة الأخرى وصفة يوم القيامة بإسنادين عن أبي هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهما .

ويرسل الله على الأرض مطراً من تحت العرش ؛ فينبتون في أصوائهم ، وقبورهم ؛ يرسل الله ذلك المطر على الأرض أربعين يوماً ، وكلُّ شيء من ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، فينبت الإنسان منه حتى إذا تكاملت أجسادهم ؛ زجر الله الأرض زجرةً ، فترفعهم إلى أقرب قشرتها ، ثم يحيي الله إسرافيل ، فيأمره أن ينفخ في الصور نفخة القيام ؛ التي يقول الله تعالى عنها :﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۞ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨-٦٩] فإذا نفخ إسرافيل النفخة الأخيرة ؛ طارت الأرواح إلى أجسادها ، فكلُّ روحٍ يذهب إلى الجسد الذي كان يعمره ، ويكون أعلم به ، ويأمر الله الأرض فتنشق عنهم ، فيقومون من قبورهم ، ويرسل الله داعياً يدعو : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ۞ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۞ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٦-٨] وقال ﷻ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾ [طه : ١٠٨] فكلهم يتبعون الداعي ؛ يقومون حفاةً غير منتعلين ؛ عراةً غير مكتسين ؛ غرلاً غير مختونين ؛ حتى يصلوا إلى أرض الموقف ، فيقفون فيه ؛ يجتمع أولهم وآخرهم ، وإنسهم وجنهم ، ويقفون ذلك اليوم الطويل الذي ذكره الله ﷻ في قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ﴾ [المعارج : ١-٦] .

فهذا هو البعث بعد الموت ؛ يبقون قياماً مدة طويلةً ؛ ينتظرون ماذا يفعل بهم ؛ حتى يمشي المؤمنون بعضهم في بعض ، ويقولون : انظروا إلى من يشفع لكم إلى ربكم ليريحكم من هذا الموقف

فيأتون إلى آدم فيحيل إلى نوح ثم نوح فيحيل إلى إبراهيم ثم إبراهيم فيحيل إلى موسى ثم موسى فيحيل على عيسى ثم عيسى فيحيل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وحينئذ يقول النبي ﷺ : أنا لها ، أنا لها ، فيشفع إلى ربه في فصل القضاء ، وعندئذ يأمر الله بفصل القضاء فتتطاير الصحف ؛ فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ، ثم يفترق الناس تفرقاً لا لقاء بعده ، فأهل السعادة يذهبون إلى الجنة ، وأهل الشقاء يدخلون النار ، والعياذ بالله .

وقوله : " والمحاسبة من الله عز وجل للعباد حق " أقول خلق الله العباد للعبادة ، وجعل غايتهم الحساب والجزاء ، سواء عملوا لهذه الغاية ، وحسبوا حسابها بالعمل أم لا ؟ فهي كائنةٌ ولابد ؛ قال الله ﷻ : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ [الإسراء : ١٣-١٤] وقال جل من قائل : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] وقال أيضاً : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ - ٩٣] وقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً ﴾ [الانشقاق : ٦ – ١٢] نعوذ بالله ، " وأول خطبة خطبها عليه السلام بمكة حين دعا قومه فقال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه : إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذَبت الناس ما كذبتكم ؛ ولو غرَرت الناس ما غرَرتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً ، وإلى الناس كافةً ، والله لتموتنَّ كما تنامون ، ولتبعثنَّ كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوءاً ، وإنهَّا للجنة أبداً أو النار أبداً ، وإنكم لأول من أنذر بين يدي عذابٍ شديد ".[1]

---

١) نثر الدر (١ /٤٩) من مقدمة المؤلف ، وأخرجه الكامل في التاريخ (١ / ٢٥٨) وفي سبل الهدى والرشاد (١ / ١١) وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية لما سئلت سؤالاً هذا نصه وإجابته في ج٦ /٣٣٧ : " س٦: والذي نفسي بيده لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ألا وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً " هل هو من كلام النبي ﷺ وما حكم مرتبته ؟ ج٦: لا نعلم له أصلا عن النبي ﷺ ، وإنما يروى من كلام قس بن ساعدة . وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو // عبد الله بن قعود عضو // عبد الله بن غديان الرئيس // عبد العزيز بن عبد الله بن باز " اهـ .

وقوله : " والوقوف بين يدي الله حقٌّ " نعم كلُّ إنسان سيقف بين يدي ربه ؛ كما ورد في الحديث عن عدي بن حاتم ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ))[1] قَالَ الْأَعْمَشُ وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ عَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ : ((وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)) إذاً فالوقوف بين يدي الله نهايته بالمحاسبة والجزاء .

٢٩- ويقرِّون بأنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوقٌ ولا غير مخلوق ، ويقولون أسماء الله هي الله .

قوله : " ويقرِّون بأنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوقٌ ولا غير مخلوق ، ويقولون أسماء الله هي الله " أقول : الإيمان في اللغة : هو التصديق .

وفي الشرع : اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وقد ذكر الله زيادة الإيمان في آياتٍ كثيرة ، ومن لازم الزيادة النقصان .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الفتح : ٤] وقال تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣١] ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤] .

---

١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمةٍ طيبة وأنَّها حجابٌ من النار .

فأهل السنة يقرُّون بأنَّ الإيمان : اعتقادٌ بالقلب ، ونطق باللسان ؛ وهو النطق بالشهادتين ، وعملٌ بالجوارح ؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

وقد ذكر البخاري في كتاب الإيمان الآيات التي فيها الزيادة ، وذكر الأعمال التي اعتبرها الشرع من الإيمان ؛ ومن شاء فليراجع هذا الموضوع في كتاب الإيمان من فتح الباري للحافظ ابن حجر – رحمه الله – ، أمَّا المرجئة فهم يقولون : الإيمان هو التصديق فقط ، وأنَّه لا يزيد ولا ينقص ، ويزعمون أنَّ إيمان الفاسق من المسلمين كإيمان جبريل ، وميكائيل ؛ وأبي بكر ، وعمر ، وقولهم هذا باطل تردُّه الأدلة .

وقوله : " ولا يقولون مخلوقٌ ولا غير مخلوق ، ويقولون أسماء الله هي الله " الذي نعلمه من عقيدة أهل السنة والجماعة أنَّ أعمال العباد كلَّها مخلوقةٌ ، والله ﷻ يقول : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] والله ﷻ يخبرنا في كتابه بأنَّ الهداية منه جل وعلا ، وأنَّ الخذلان والزيغ كل ذلك مقدرٌ من الله ﷻ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد : ٣١] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف : ٥] فنسب الزيغ إليهم كسباً ، ونسب الإزاغة لقلوبهم إليه ﷻ ؛ جزاءً لهم على ما فعلوه من الزيغ ، وقال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠] وقال جل من قائل : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس : ٣٥] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] فالله ﷻ هو الذي يخلق الهداية في القلب ، وهو الذي يزيغ القلوب ؛ نعوذ بالله من الزيغ، وقد ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : ((أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول : إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحدٍ ، يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله ﷺ : ((اللهم مصرف القلوب ؛ صرف قلوبنا على طاعتك)) [١] .

٣٠ - ولا يشهدون على أحدٍ من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحدٍ من الموحدين حتى يكون الله سبحانه ينزلهم حيث شاء ، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذَّبهم ، وإن شاء غفر لهم .

قوله : " ولا يشهدون على أحدٍ من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحدٍ من الموحدين حتى يكون الله سبحانه ينزلهم حيث شاء ، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذَّبهم ، وإن شاء غفر لهم " أقول : عقيدة أهل السنة والجماعة أنهَّم لا يشهدون لأحدٍ بجنةٍ ولا نارٍ ؛ إلاَّ لمن شهد له النبي ﷺ بالجنة ؛ كالعشرة المشهود لهم بها ؛ كما في حديث عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان ، وعلي ، والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص . قال : فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر ، فقال القوم ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر ؟ قال نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة)) [٢] وعن قتادة عن أنس بن مالكٍ ﷺ قال : ((صعد النبي ﷺ إلى أحدٍ ، ومعه أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله ؛ قال : اثبت أحدُ ، فما عليك إلاَّ نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدان)) [٣] وفي رواية : ((فإنما عليك نبيٌّ ، وصدِّيقٌ ، وشهيدان)) .

---

١) الحديث سبق تخرجه ص٢٦ .

٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ ، والحديث أخرج نحوه أبو داود في السنة باب في الخلفاء ، وابن ماجة في المقدمة باب فضائل العشرة رضي الله عنهم ، والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجة برقم الحديث (١٣٣) .

٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ ، وفي باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً " .

وشهد لثابت بن قيس بن شماس ﷺ بالجنة[1] ، وشهد للمرأة السوداء بالجنة[2] ، وشهد لعبد الله بن سلام ﷺ بالجنة كما في حديث أبي النضر عن عامر بن سعد قال سمعت أبي يقول : ((ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحيٍّ يمشي إنَّه في الجنة إلاَّ لعبد الله بن سلام))[3] ومن عدا هؤلاء ممن لم يشهد لهم النبي ﷺ بالجنة ؛ فنحن لا نقطع لأحدٍ بالجنة ، ولا بالنار ، ولكنَّنا نرجو للمحسن ، ونخاف على المسيء ، وأمْر العباد إلى الله ﷻ ؛ هم خلْقُه وعباده ؛ لو عذَّبهم جميعاً لعذبهم وهو غير ظالمٍ لهم ، ولو رحمهم جميعاً لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم .

٣١- ويؤمنون بأنَّ اللّه سبحانه يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول اللّه .

قوله : " ويؤمنون بأنَّ الله سبحانه يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله " قد سبقت الإشارة إلى هذا ، وأنَّ الله ﷻ يعذب أقواماً من المسلمين من أهل الكبائر ، ويخرجهم من النار ؛ إمَّا بشفاعة الشافعين ، وإمَّا برحمة أرحم الراحمين .[4]

---

١) كما في حديث عبد الخبير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده ﷺ قال : " جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول ، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة فقالت إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي ، فقال رسول الله ﷺ ابنك له أجر شهيدين . قالت : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال لأنه قتله أهل الكتاب " أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم ، وضعف الحديث الإمام الألباني في ضعيف سنن أبي داود برقم الحديث (٢٤٨٨) .

٢) كما في الحديث المتفق عليه واللفظ للبخاري عن عطاء بن أبي رباح ﷺ قال : قال لي ابن عباس : " ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى . قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني أصرع ، وإني أتكشف ، فادع الله لي . قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك . فقالت : أصبر ، فقالت : إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف ، فدعا لها " والحديث أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح ، ومسلمٌ في كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها .

٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عبد الله بن سلام ﷺ .

٤) وقد تقدم ذكر الشفاعة والأحاديث فيها في فقرة ٢٧ من هذا المتن المبارك ، وما قام به شيخنا النجمي - رحمه الله - عليه من التعليق عليها في ص٢٦ .

٣٢- وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ؛ حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يقولون كيف ، ولم ؟ لأنَّ ذلك بدعة.

قوله : " وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ؛ حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ، ولا يقولون كيف ، ولم ؟ لأنَّ ذلك بدعة " أقول ترك المراء والجدل في الدين ؛ هذا هو الذي ينبغي لأهل الدين .

وقد تورَّع كثيرٌ من السلف عن الجدل والخصومات أخذاً بتوجيه رسول الله ﷺ ؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : ((خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ؛ وهم يختصمون في القدر ، فكأنمَّا يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب ، فقال : بهذا أمرتم ؟ أو لهذا خلقتم ؛ تضربون القرآن بعضه ببعض ؛ بهذا هلكت الأمم قبلكم ؛ قال : فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه))[١].

وفي رواية من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : ((كنَّا جلوساً عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر؛ ينزع هذا بآية ، وينزع هذا بآية ، فخرج علينا رسول الله ﷺ كما يفقأ في وجهه حب الرمان ، فقال : يا هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم ؟ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))[٢].

---

١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في المقدمة باب في القدر ، وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجة " حسنٌ صحيح " .

٢) والحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط (١٨ / ٢٨٥) برقم الحديث (٨٧٠٦) وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب " صحيحٌ لغيره " (١ / ٣٣) برقم الحديث (١٤٠) .

فترك الجدل هو الأولى ؛ حتى ولو رأى الإنسان أنَّه قادرٌ على الانتصار ، وينبغي أن نعرض على أهل البدع الأدلة التي خالفوها ، فإن قبلوا ذلك ؛ فالحمد لله ، وإن لم يقبلوا ؛ كنَّا قد أقمنا الحجة عليهم ، وحينئذ نتركهم .

٣٣- ويقولون : إنَّ الله لم يأمر بالشر ؛ بل نهى عنه ، وأمر بالخير ؛ ولم يرض بالشر ، وإن كان مريداً له .

قوله : " ويقولون : إنَّ الله لم يأمر بالشر ؛ بل نهى عنه ، وأمر بالخير ؛ ولم يرض بالشر ، وإن كان مريداً له " وأقول هذا كقوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨-٢٩] والله ﷻ يقول : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧] .

فالله ﷻ أراد الخير كوناً ، ورضيه شرعاً ، وأراد الشر كوناً ولم يرضه شرعاً ، ولم يأمر به قط ، ولا رضيه ، فيجب على المسلم أن يعلم ذلك ، ويعتقده حتى لا يقع في العقائد الباطلة .

٣٤- ويعرفون حقَّ السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبه نبيه ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم ؛ صغيرهم ، وكبيرهم ، ويقدِّمون أبا بكرٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علياً رضوان الله عليهم .

قوله : " ويعرفون حقَّ السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم ؛ صغيرهم ، وكبيرهم ، ويقدِّمون أبا بكرٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علياً رضوان الله عليهم " أقول : الآيات في تفضيل الصحابة كثيرة ؛ منها قول الله ﷻ : ﴿ مُّحَمَّدٌ

رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال في سورة براءة : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ويقول أيضاً : ﴿ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٧- ١١٨] .

وفي الحديث : ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه))[١].

أمَّا تقديم أبي بكرٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ؛ فهذا قد ورد فيه حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : الحديث أخرج نحوه البخاري بلفظ : ((كنَّا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ ؛ فنخيِّر أبا بكرٍ ، ثمَّ عمر بن الخطاب ، ثمَّ عثمان بن عفان رضي الله عنهم))[٢] وفي رواية : ((كنَّا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم))[٣].

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلا " وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما .
٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب فضل أبي بكر رضي لله عنه بعد النبي ﷺ .
٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ .

٣٥- ويقرون أنَّ الخلفاء الراشدين المهديين أفضلُ الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٦- ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله وسلم أنَّ الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا ؛ فيقول هل من مستغفرٍ ...كما جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٧- ويأخذون بالكتاب والسنة ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ .

قوله : " ويقرون أنَّ الخلفاء الراشدين المهديين أفضل الناس كلهم بعد النبي ﷺ " أقول : يدل على ذلك حديث العرباض بن سارية ﷺ قال : ((وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله : كأنَّها موعظة مودع ؛ فأوصنا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبدٌ ، وإنَّه من يعش منكم ؛ فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ؛ عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة))[1] والخلفاء الراشدون : هم أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم جميعاً .

قوله : " ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أنَّ الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا ؛ فيقول هل من مستغفرٍ ...كما جاء الحديث عن رسول الله ﷺ " أقول : قد صح عن رسول الله ﷺ صحةً لا يشوبها شك أنَّ الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ؛ فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ حتى يطلع الفجر ؛ كما في حديث أبي هريرة ﷺ : ((أنَّ رسول الله ﷺ قال : ينزل ربنا تبارك وتعالى

---

١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي واللفظ له رحمه الله في كتاب العلم باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وأخرج بنحوه الإمام ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند المدنيين ؛ مسند العرباض بن سارية ﷺ برقم (١٦١٣٨) و (١٦١٥٥٣) والإمام الدارمي في المقدمة أيضاً باب اتباع السنة ، والحديث أشار الألباني رحمه الله إلى تصحيحه في صحيح الجامع (٢ / ١١٤٥) برقم الحديث (٦٧٦٦) من حديث عبدالله بن مسعود عن أبيه وجبير بن مطعم ومن حديث زيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعاً .

كل ليلة إلى السماء الدنيا ؛ حين يبقى ثلث الليل الآخر ؛ فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يسألني فأعطيه ؟ ومن يستغفرني فأغفر له))[1].

قوله : " ويأخذون بالكتاب والسنة ؛ كما قال الله ﷻ : ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء : ٥٩] " أقول : ردُّ التنازع إلى الله ، وإلى الرسول ؛ أمرٌ مجمعٌ عليه ، فالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية كلها دالةٌ على ذلك .

٣٨- ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله .

٣٩- ويقرون أنَّ الله سبحانه يجيء يوم القيامة ؛ كما قال : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ .

٤٠- وأنَّ الله يَقْرُبُ من خلقه كيف شاء ؛ كما قال : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [ق : ١٦] .

قوله : " ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله .

أقول : دليل ذلك قول الله ﷻ متوعداً لمن خالف سبيل المؤمنين : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ [النساء : ١١٥] ومعنى هذه الآية أنَّ من شاقق الرسول ﷺ بأن صار في شقٍّ غير شقِّه ، وكان ممن يكونون ضده ، واتبع غير سبيل المؤمنين ؛ إذ إنَّ سبيل المؤمنين طاعة الله ، وطاعة رسوله ﷺ ، واتباع من سلف من هذه الأمة ، ويستدلون على ذلك بحديث العرباض بن سارية ﷺ قال : ((وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله : كأنها موعظة مودِّع ؛ فأوصنا ؟! قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ؛ وإن تأمر عليكم عبدٌ ، وإنَّه من

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل وقال الله ﷻ ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ أي ما ينامون ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ وفي كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ﴿ إنَّه لقولٌ فصل ﴾ حق ﴿ وما هو بالهزل ﴾ باللعب ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه .

يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ؛ عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنَّ كل بدعة ضلالة)) [1].

قوله : " ويقرون أنَّ الله سبحانه يجيء يوم القيامة ؛ كما قال : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ " أي : أنهَّم يؤمنون بمجيء الله يوم القيامة لفصل القضاء ؛ حين يجمع الله الجن والإنس في صعيدٍ واحدٍ ، وتنزل ملائكة السماء الدنيا ؛ فيكونون صفاً من ورائهم ، وهكذا ملائكة السماء الثانية ، والثالثة ، والرابعة .. إلى السابعة ، والملائكة تكون صفوفاً من وراء الجن والإنس ، وذلك حين ﴿يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر ﴾ [القيامة : ١٠] .

قوله : "وأنَّ الله يَقْرُبُ من خلقه كيف شاء ؛ كما قال : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ " وأقول : إنَّ الله قريبٌ من خلقه باطلاعه عليهم ، وهيمنته ، وقدرته ، وعلمه الشامل ، وهو بذاته على العرش ؛كما قال جل من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : ((كنَّا مع النبي ﷺ ؛ فكنَّا إذا أشرفنا على وادٍ هلَّلنا وكبَّرنا ؛ ارتفعت أصواتنا ، فقال النبي ﷺ : يا أيها النَّاس أربعوا على أنفسكم ؛ فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ؛ إنَّه معكم ؛ إنَّه سميعٌ قريبٌ ؛ تبارك اسمه ، وتعالى جده)) [2] البخاري .

---

١) سبق تخريجه في ص٤٣ .

٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة خيبر ، وبنحوه في كتاب الجهاد والسير باب ما يكره من رفع الصوت بالذكر ، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة ، وباب قول لاحول ولاقوة إلاَّ بالله ، وفي كتاب القدر باب لاحول ولاقوة إلاَّ بالله ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر .

٤١- ويرون العيد ، والجمعة ، والجماعة خلف كلِّ إمامٍ برًّا وفاجراً .

٤٢- ويثبتون المسح على الخفين سنة ؛ ويرونه في الحضر ، والسفر .

٤٣- ويثبتون فرض الجهاد للمشركين ؛ منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابةٍ تقاتل الدجال ، وبعد ذلك .

قوله : " ويرون العيد ، والجمعة ، والجماعة خلف كلِّ إمامٍ برًّا وفاجراً " يعني أنهَّم يرون طاعة الأئمة ، والصلاة وراءهم ، ودفع الزكاة إليهم ، والجهاد معهم ، ولا يجيزون الخروج عليهم؛ كما دلت على ذلك الأدلة .

قوله : " ويثبتون المسح على الخفين سنة ؛ ويرونه في الحضر ، والسفر " وأقول : المسح على الخفين سنةٌ من سنن الإسلام ؛ يمسحون عليها من كلِّ حدثٍ أصغرٍ ، ويجب خلعهما للحدث الأكبر ، وإنَّما ذكر المسح على الخفين في كتب العقيدة ؛ لأنَّ الخوارج ، والرافضة ؛ لا يرون ذلك، فلذلك كانت مذكورة في كتب العقيدة .

قوله : " ويثبتون فرض الجهاد للمشركين ؛ منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابةٍ تقاتل الدجال، وبعد ذلك " أقول : الجهاد فرض كفاية ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٣٦] وقوله : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] فالجهاد فرضٌ لهاتين الآيتين ؛ لكنَّه مفروضٌ بشروط منها :

١- أن يكون تحت لواء إمامٍ يجاهدُ ، وأتباعه يجاهدون معه ، لأنَّ بني إسرائيل لما أرادوا الجهاد طلبوا من نبيهم الذي كان في عصرهم بأن يبعث لهم ملكاً يجاهدون معه ، فبعث الله لهم ملكاً ، والقصة معروفة في سورة البقرة.[١]

---

١) سورة البقرة من الآية رقم ٢٤٦ إلى ٢٥١ .

٢- أن يكون القوم المجاهدون لهم قوةٌ يناوؤون بها العدو ، فإن كانوا مستضعفين بحيث أنَّ القوة متفاوتة ؛ فهنا لا يجب القتال ، وربما يقال إنَّ الجهاد مستحبٌّ توكلاً على الله .

٣- جعل الله ﷻ الوجوب معلَّقاً بما إذا كان عدد المسلمين المجاهدين يقابل عددٌ ضعفهم ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٦] .

فإذا لم يعزم الإمام على الجهاد فإنَّ الجهاد لا يجب على الرعية ، ويعلم الله أنَّ ذلك لا يتم إلا بقيادة ؛ إذ إنَّ القوة المبعثرة لا تنفع ، فمن يذهب بنفسه أو جماعة يذهبون بأنفسهم بزعمهم أنهَّم يجاهدون من دون قيادة لهم ؛ فهذا لا ينبغي ، والواجب على ولاة الأمور أن ينظروا في هذا الأمر .

وقد ورد في الحديث عن يزيد بن الأصم قال : ((سمعت معاوية بن أبي سفيان ذكر حديثاً رواه عن النبي ﷺ لم أسمعه روى عن النبي ﷺ على منبره ؛ وحديثاً غيره ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولا تزال عصابةٌ من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة))[١] وفي رواية : ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال))[٢] ويظهر أنَّ المقاتلة هنا تارة تكون بالقتال بالآلات الحربية ، وتارة تكون بين أصحاب العقيدة الصحيحة التي تستند إلى الأدلة من الكتاب والسنة ، وبين من يخالفهم ، تارة بالحجة والبيان ، وتارة بآلات القتال الفعلية .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ".

٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الجهاد باب دوام الجهاد ، وأحمد (٤٠ / ٣٦٩) برقم الحديث (١٩٠٤٩) (٤٠ / ٣٩٣) برقم (١٩٠٧٣) وصحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٢٩٤) .

٤٤- ويرون الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف ؛ وأن لا يقاتلوا في الفتنة .

قوله : " ويرون الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح ، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف ؛ وأن لا يقاتلوا في الفتنة " وأقول : الواجب على طلاب العلم جميعاً ، ومن يعلمون الحق ؛ ويميزونه بالأدلة أن يرجعوا إلى عقيدة السلف ، وهي السمع والطاعة لأئمة المسلمين في غير معصية الله ، والدعاء لهم بالصلاح ، والتسديد ، والنصر ؛ سواءً كان في خطب الجمعة ؛ أو في غيرها ، ولهذا أثر عن الفضيل بن عياض أنَّه قال : " لو كانت لي دعوة مستجابةٌ لم أجعلها إلا في إمامٍ ، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد "[٢].

أمَّا قوله : " وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف " وأقول الواجب على المسلمين لولاتهم السمع والطاعة ؛ سواءً كان الولاة أبراراً أو فجاراً ، والواجب عليهم عدم الخروج على الولاة بالسيف ، وفي ذلك أحاديث كثيرة منها حديثٌ : ((عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت ؛ وهو مريضٌ ؛ قلنا : أصلحك الله ؛ حدِّث بحديثٍ ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ ؛ قال : دعانا النبي ﷺ فبايعناه ؛ فقال فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرةٍ علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان))[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرويه قال : قال النبي ﷺ : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ؛ فإنَّه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً ؛ فيموت إلاَّ مات ميتة جاهلية))[٤].

---

١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١ / ١٧٢ - ١٧٦) ومجمل اعتقاد أئمة السلف (ص ٥٧) .
٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدي أموراً تنكرونها ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية .
٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدي أموراً تنكرونها " وأخرجه مسلمٌ في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن .
٤) الحديث أخرجه مسلمٌ في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن .

وحديث : ((عن نافع قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان ؛ زمن يزيد بن معاوية فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادةً فقال : إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول : من خلع يداً من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))

وحديث : ((عن زياد بن علاقة قال : سمعت عرفجة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنَّه ستكون هنَاتٌ وهنَاتٌ ؛ فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميعٌ ؛ فاضربوه بالسيف ؛ كائناً من كان))[1] وعنه ﷺ قال : ((سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ يريد أن يشق عصاكم ؛ أو يفرق جماعتكم فاقتلوه))[2].

وعن عوف بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ؛ قيل يا رسول الله : أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : لا ؛ ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يداً من طاعة))[3].

فما أعظم الخطر على أقوامٍ من أصحاب الحزبيات يكفرون الولاة من المسلمين ، والعلماء ؛ ويرون الخروج عليهم ؛ فهؤلاء على خطر عظيم ، لأنَّ عقيدتهم سيئة ؛ إذ إنَّها عقيدة الخوارج ؛ الذين قال عنهم النبي ﷺ : ((الخوارج كلاب النار))[4] ، وعن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إنَّ بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قومٌ يقرءون القرآن ، لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين ؛كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة[5])) .

---

١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب حكم من فرَّق أمر المسلمين وهو مجتمعٌ .
٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب حكم من فرَّق أمر المسلمين وهو مجتمعٌ .
٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم .
٤) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في المقدمة باب في ذكر الخوارج ؛ برقم الحديث ١٧٣ وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران ، وقال الترمذي : " حديثٌ حسن " وأخرجه الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم الحديث (١٨٦٥١) و (١٨٩٢٣) وفي باقي مسند الأنصار برقم (٢١٦٧٩) و (٢١٧٠٥) و (٢١٨١١) بترقيم إحياء التراث ؛ من حديث أبي أمامة ﷺ ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم الحديث (٣٣٤٧) ..
٥) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : ((بعث علي ﷺ ؛ وهو في اليمن ، بذهبية في تربتها إلى رسول الله ﷺ ؛ فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس الحنظلي ، وعيينة بن بدر الفزاري ، وعلقمة بن علاثة العامري ، ثم أحد بني كلاب ، وزيد الخير الطائي ، ثم أحد بني نبهان ، فغضبت قريش ! فقالوا : أيعطي صناديد نجدٍ ويدعنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنِّي إنما فعلت ذلك لأتألفهم ، فجاء رجلٌ كثُّ اللحية ، مشرف الوجنتين ، غائر العينين ، ناتئ الجبين ، محلوق الرأس ، فقال : اتق الله يا محمد ! ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ؟ قال : ثم أدبر الرجل ، فاستأذن رجلٌ من القوم في قتله يرون أنَّه خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله ﷺ : إنَّ من ضئضئ هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[1] ، وفي رواية : ((إنَّه يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود))[2].

وحديث : ((سيكون في أمتي اختلافٌ وفُرْقةٌ ؛ قوم يحسنون القيل ؛ ويسيئون الفعل ؛ يقرءون القرآن ؛ لا يجاوز تراقيهم ؛ يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ؛ لا يرجعون حتى يرتدَّ على فُوَقِه ؛ هم شرار الخلق والخليقة ؛ طوبى لمن قتلهم و قتلوه ؛ يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيءٍ ؛ من قاتلهم كان أولى بالله منهم ؛ سيماهم التحليق))[3].

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ وإلى عادٍ أخاهم هودا﴾ وفي كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج .

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج .

٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب قتال الخوارج ، وأخرجه الإمام أحمد في مسند أنس بن مالك (٢٦ / ٤٠٦) برقم الحديث (١٢٨٥٩) من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم الحديث (٣٦٦٨) وأصل الحديث في البخاري بغير هذا اللفظ في كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم .

وحديث : ((أنَّ نبي الله ﷺ مر برجلٍ ساجدٍ ؛ وهو ينطلق إلى الصلاة ؛ فقضى الصلاة ، ورجع عليه ؛ وهو ساجدٌ ، فقام النبي ﷺ ؛ فقال : من يقتل هذا ؟ فقام رجلٌ فحسر عن يديه ؛ فاخترط سيفه وهزه ، ثم قال : يا نبي الله ! بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله ؟ ثم قال : من يقتل هذا ؟ فقام رجلٌ ؛ فقال : أنا ، فحسر عن ذراعيه ، واخترط سيفه وهزه ؛ حتى رعدت يده فقال : يا نبي الله ! كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ؟ فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده لو قتلتموه ؛ لكان أول فتنةٍ وآخرها)) [1] ، وللحديث شاهدٌ من حديث أنس نحوه : ((وفيه أنَّ الرجل الأول الذي قام لقتله هو أبو بكرٍ ، والثاني عمر)) وزاد : ((فقال رسول الله ﷺ : أيكم يقوم إلى هذا فيقتله ؟ قال علي : أنا ؛ قال رسول الله ﷺ : أنت له إن أدركته ؛ فذهب عليٌّ ؛ فلم يجده ، فرجع ؛ فقال رسول الله ﷺ : أقتلت الرجل ؟ قال : لم أدر أين سلك من الأرض ؛ فقال رسول الله ﷺ : إنَّ هذا أول قرنٍ خرج من أمتي ؛ لو قتلته ما اختلف من أمتي اثنان ، إنَّ بني إسرائيل تفرقوا على واحدٍ وسبعين فرقة ، وإنَّ هذه الأمة . يعني أمته . ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة ؛ كلها في النار إلا فرقة واحدة ؛ فقلنا : يا نبي الله ، من تلك الفرقة ؟ قال : الجماعة)) [2] ، وورد بلفظٍ آخر في آخره : ((فرجع علي ؛ فقال : يا رسول الله ! إنَّه لم يره ؛ فقال ﷺ : إنَّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ؛ يمرقون من الدين ؛كما يمرق السهم من الرمية ؛ ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم من فوقه - أي موضع الوتر منه - فاقتلوهم ؛ هم شر البرية)) [3] ، إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة فيهم .

وقوله : " وأن لا يقاتلوا في الفتنة " أقول : الفتنة إذا لم يكن هناك إمامٌ معروفٌ ، واشتبه الحق بالباطل فهذه هي الفتنة ، أمَّا من كان له إمامٌ معروفٌ ، وخرج عليه من خرج ؛ فإنَّه يجب القتال معه ؛ لحديث أبي سعيدٍ ، وحديث عرفجة الكلابي ، وغيرهما .

---

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كَلَدَة ﷺ (٤١ /٣٣٧) برقم الحديث (١٩٥٣٦) قال الهيثمي طبعة دار الريان ودار الكتاب العربي (٣ / ٢٢٥) : " رواه أحمد والطبراني من غير بيانٍ شافٍ ، ورجال أحمد رجال الصحيح " وصححه الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥ / ٦٥٧) برقم (٢٤٩٥) وفي ظلال الجنة في باب المارقة (٢ /١٦٤) برقم الحديث (٩٣٨) .

٢) الحديث أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ ؛ هذا أول قرن خرج من أمتي (٩ / ١٥٤) برقم الحديث (٤٠١٦) وقال المحقق لكتاب مسند أبو يعلى حسين سليم أسد : " إسناده ضعيف " وقال الألباني رحمه الله : " رجاله رجال مسلم غير الرقاشي ، وهو ضعيف " انظر السلسلة الصحيحة (٥ / ٦٥٨) .

٣) الحديث أخرجه الإمام (٢٢ / ٢٤٠) برقم الحديث (١٠٦٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ؛ قال الألباني : " إسناده حسن ، ورجاله ثقات معروفون غير أبي روبة ؛ هذا وثَّقه ابن حبان " .

٤٥- ويصدقون بخروج الدجال ، وأنَّ عيسى ابن مريم يقتله .

قوله : " ويصدقون بخروج الدجال ، وأنَّ عيسى ابن مريم يقتله " أي يصدقون ذلك بالأحاديث الواردة فيه ، والأحاديث الواردة في الدجال كثيرةٌ ، وأنَّه يمكث في الأرض أربعين يوماً : يومٌ كسنة ، ويومٌ كشهر ، ويومٌ كأسبوع ، وسائر أيامه كأيامنا هذه ؛ لحديث نواس بن سمعان ﷺ : ((غير الدجال أخوفني عليكم ؛ إن يخرج و أنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم ؛ فامرؤٌ حجيج نفسه ؛ واللهُ خليفتي على كل مسلم ؛ إنَّه شابٌّ قطَطٌ ؛ إحدى عينيه كأنها عنبة طافية؛كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ؛ فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ؛ إنَّه خارجٌ خلة بين الشام والعراق ؛ فعاثٍ يميناً وعاثٍ شمالاً ؛ يا عباد الله : فاثبتوا ؛ قالوا : يا رسول الله ما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً ؛ يومٌ كسنةٍ ، و يومٌ كشهر ، و يومٌ كجمعة ، و سائر أيامه كأيامكم ؛ قالوا : يا رسول الله ! فذلك اليوم كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ؛ اقدروا له ؛ قالوا : و ما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ؛ فيأتي على القوم فيدعوهم ؛ فيؤمنون به ، ويستجيبون له ؛ فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دراً ، وأشبعه ضروعاً ، وأمده خواصر ، ثم يأتي القوم ؛ فيدعوهم فيردُّون عليه قوله ؛ فينصرف عنهم ؛ فيصبحون ممحلين ؛ ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، و يمر بالخربة ؛ فيقول لها : أخرجي كنوزك ؛ فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف ؛ فيقطعه جزلتين ؛ رمية الغرض ، ثم يدعوه ؛ فيقبل ، ويتهلل وجهه ، ويضحك ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذ بعث الله المسيح ابن مريم ؛ فينزل عند المنارة البيضاء ؛ شرقي دمشق ؛ بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ؛ إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات ، و نَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه ؛ فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه ؛ فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ؛ فبينما هم كذلك ؛ إذ أوحى الله إلى عيسى : إني أخرجت عباداً لا

يدان لأحدٍ بقتالهم ؛ فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج و مأجوج ؛ و هم من كل حدبٍ ينسلون ؛ فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ؛ فيشربون ما فيها ، و يمر آخرهم ؛ فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ! ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ؛ وهو جبل بيت المقدس ؛ فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ؛ هلمَّ فلنقتل من في السماء ؛ فيرمون بنشابهم إلى السماء ؛ فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا ؛ و يحصر نبي الله عيسى وأصحابه ؛ حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى و أصحابه ؛ فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ؛ فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة ؛ ثم يهبط نبي الله عيسى ؛ وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ، ونتنهم ؛ فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ﷻ ؛ فيرسل الله طيراً كأعناق البخت ؛ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله قطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ، و لا وبرٍ ؛ فيغسل الأرض ؛ حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ،وردي بركتك ؛ فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك في الرِّسل ؛ حتى أنَّ اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ؛ واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ؛ فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمنٍ ، وكل مسلمٍ ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر ؛ فعليهم تقوم الساعة))[1] .

قوله : " ويصدِّقون بخروج الدجال " لحديث النواس بن سمعان ﷺ السابق : ((إنَّه خارجٌ خلة بين الشام والعراق ؛ فعاثٍ يميناً وعاثٍ شمالاً ؛ يا عباد الله : فاثبتوا ...)) ولحديث جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : ((أَتَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ ، وَلَا تُحَدِّثْنِي عَنْ غَيْرِكَ ؛ وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُصَدَّقًا ؟ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ ؛ فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ؛ أَوْ أُمَّتَهُ ؛ وَإِنَّهُ آدَمُ ؛ جَعْدٌ ؛ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى ، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ، ثُمَّ يُحْيِيهَا ، وَلَا يُسَلَّطُ

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه ؛ من حديث النواس ين سمعان .

عَلَى غَيْرِهَا ، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ ، وَنَهْرٌ وَمَاءٌ ، وَجَبَلُ خُبْزٍ ؛ وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ ، وَنَارَهُ جَنَّةٌ ؛ وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ؛ يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ : مَسْجِدَ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ ، وَالطُّورِ ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى ؛ وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ))[1] ، وفي رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النَّاسِ ؛ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ ؛ أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ؛ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ[2])) .

٤٦- ويؤمنون بمنكرٍ ونكيرٍ .

قوله : " ٤٦ – ويؤمنون بمنكرٍ ونكيرٍ " أقول منكرٌ ونكيرٌ وردت به الأحاديث أنَّ العبد حين يوضع في قبره يأتيه ملكان يقال لأحدهما منكرٌ ، وللآخر نكيرٌ ، فيسألانه من ربك ؟ وما دينك ؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيثبت الله المؤمن ؛ فيجيب الإجابة الصحيحة ، ويضل الله المنافق ، والكافر ، والفاجر ؛ قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] وقال عليه الصلاة والسلام : ((إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ ؛ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ : أَتَاهُ مَلَكَانِ ؛ أَسْوَدَانِ ؛ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ ، وَالْآخَرُ النَّكِيرُ ؛ فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : مَا كَانَ يَقُولُ ؛ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ؛ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ فَيَقُولَانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ ؛ فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي ؛ فَأُخْبِرُهُمْ ؛ فَيَقُولَانِ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا ؛ قَالَ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ ؛ لَا أَدْرِي ؛ فَيَقُولَانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ

---

١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٨ / ١٩١) برقم الحديث (٢٢٥٧٢) وقال شعيب الأرناؤوط : " إسناده صحيح " .
٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه .
٣) ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها في باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات الحساب ، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ، وأخرجه الإمام الترمذي في تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة إبراهيم عليه السلام ، وأخرجه الإمام النسائي في كتاب الجنائز باب عذاب القبر ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر القبر والبلى وكلها روايات مختصرة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم الحديث (٣٧ / ٤٩٠) مطولاً من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

ذَلِكَ ؛ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ ؛ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ ؛ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ))[1]

٤٧- والمعراج .

قوله : " والمعراج " أي معراج النبي ﷺ ؛ كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة ؛ منها ما ورد من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما : ((أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ : بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ ، وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعًا ؛ إِذْ أَتَانِي آتٍ ، فَقَدَّ ؛ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ ، فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا ، فَغُسِلَ قَلْبِي ، ثُمَّ حُشِيَ ، ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ ؛ فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ : هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ قَالَ أَنَسٌ : نَعَمْ ؛ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ ؛ فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ؛ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ؛ فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ؛ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ؛ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفَتَحَ ؛ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى ؛ وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ ؛ قَالَ : هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّا ؛ ثُمَّ قَالَا : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ؛ ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ؛ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ ؛ قَالَ : هَذَا يُوسُفُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ؛ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا

---

١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في عذاب القبر من حديث أبي هريرة ﷺ ، وقال الترمذي : " حديثٌ حسنٌ غريب " وقد حسن الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع حديث برقم الحديث (٧٢٤) والسلسلة الصحيحة (٣٧٩/٣) برقم الحديث (١٣٩١) .

بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ؛ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ : أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَفُتِحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ ؛ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ؛ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قِيلَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ؛ فَإِذَا هَارُونُ ؛ قَالَ : هَذَا هَارُونُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ؛ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ ، فَاسْتَفْتَحَ ؛ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ مَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا مُوسَى ؛ قَالَ : هَذَا مُوسَى ؛ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ، ثُمَّ قَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ؛ فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى ؛ قِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : أَبْكِي ؛ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ؛ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ ، وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ مَرْحَبًا بِهِ ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ؛ فَلَمَّا خَلَصْتُ ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ؛ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ؛ قَالَ : مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ؛ ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ؛ فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ ؛ قَالَ هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ؛ فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ ؛ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ ؛ فَالنِّيلُ ، وَالْفُرَاتُ ؛ ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ؛ ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ ؛ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ ؛ فَقَالَ : هِيَ الْفِطْرَةُ ؛ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ؛ فَقَالَ : بِمَا أُمِرْتَ ؟ قَالَ : أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ؛ قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ ، فَرَجَعْتُ ،

فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ؛ فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ؛ فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ ؛ فَقَالَ مِثْلَهُ ، فَرَجَعْتُ ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ؛ فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟ قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ؛ قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ ؛ قَالَ : سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ ؛ قَالَ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي))[1] .

٤٨- والرؤيا في المنام .

٤٩- وأنَّ الدعاء لموتى المسلمين ، والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم .

٥٠- ويصدِّقون بأنَّ في الدنيا سحرة ، وأنَّ الساحر كافرٌ ؛ كما قال الله ، وأنَّ السحر كائنٌ موجودٌ في الدنيا .

قوله : " والرؤيا في المنام " أقول الرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- رؤيا صالحة يصورها الملك .

٢- حلم يصوره الشيطان .

٣- وساوس تنقدح في الذهن ، فتتصور في النوم .

وإنما الرؤيا المقصود بها التي تكون من الملك .

قوله : " وأنَّ الدعاء لموتى المسلمين ، والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم " وأقول : الدعاء لموتى المسلمين منصوصٌ عليه في قول النبي ﷺ : ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ؛ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ؛ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[2].

قوله : " ويصدِّقون بأنَّ في الدنيا سحرة ، وأنَّ الساحر كافرٌ ؛ كما قال الله ، وأنَّ السحر كائنٌ موجودٌ في الدنيا " وأقول : هناك من ينكر السحر ؛ مع العلم أنَّ الله ﷻ قد أثبت ذلك ؛ فلو لم يكن

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ، وفي كتاب المناقب باب المعراج .
٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ثابتاً موجوداً ؛ لما أثبته الله ، قال الله ﷻ عن موسى عليه السلام وسحرة فرعون : ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٥-١١٦] وقال في موضع آخر : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه : ٦٦] والساحر يخيِّل للناس شيئاً ؛ فيرونه ؛ كأنَّه حقيقةٌ مع أنَّ السحر ينقسم إلى قسمين :-

- سحر تخييل .

- وسحر تأثير .

فسحر التخييل ؛ مثل الرجل الذي أتى إليه جندب ؛ وإذا هو يزعم بأنَّه يقطع رأس الغلام ، ويردُّه ، فذهب فأخذ سيفاً ، واشتغل عليه ، ثم ضرب رأس الساحر ، وقال : إن كان صادقاً فليردَّ رأسَهُ .

أما سحر التأثير ؛ فهو أن يؤثر على المسحور ، ويقلقه ، ويتعبه ، وهذا يحصل كثير ، والعياذ بالله .

والساحر كافرٌ بدليل قوله تعالى عن هاروت وماروت : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] فدل ذلك على أنَّ تعلم السحر كفرٌ .

وقوله : " وأنَّ السحر كائنٌ موجودٌ في الدنيا " هذا فيه ردٌّ على من ينكر السحر ، وقد قال الشيخ حافظٌ بن أحمد الحكمي - رحمه الله - في منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول :

والسحر حقٌّ وله تأثير ... لكن بما قدَّره القدير

أعني بذا التقدير ما قد قدره ... في الكون لا في الشرعة المطهرة

---

١) الحديث أخرجه الإمام البيهقي في سننه الكبرى (٨ / ١٣٦) والحديث ضعفه الإمام الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٤٢/٣) في الباب رقم (١٤٤٦) من حديث أبي الأسود رضي الله عنه ، وقال الألباني رحمه الله : " لكن بنحوه ما أخرجه الدارقطني وعنه البيهقي وابن هساكر في تاريخ دمشق (١/١٩/٤و٢) وهذا إسناده صحيح موقوف صرَّح فيه هشيم بالتحديث " اهـ .

٥١- ويرون الصلاة على كلِّ من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم ؛ وموارثتهم .

٥٢- ويقرون أنَّ الجنة والنار مخلوقتان .

قوله : " ويرون الصلاة على كلِّ من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم ؛ وموارثتهم " أي أنَّ الصلاة على المسلم حقٌّ من حقوقه بعد الموت ؛ وقد جاء في الحديث : ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ؛ قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ : قَالَ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))[١] ، وجاء في الحديث : ((صلوا على من قال لا إله إلا الله ، وصلوا وراء من قال لا إله إلا الله))[٢] ، إلاَّ أنَّ الحديث فيه ضعيف ؛ لكن الإجماع حاصلٌ على أنَّ الصلاة - أي صلاة الميت - تشرع على كلِّ مسلمٍ سواءً كان براً أو فاجراً ، مؤمناً أو فاسقاً .

وقوله : " وتوارثهم " يعني أنَّ التوارث حاصلٌ بينهم ؛ فالمؤمن يرث الفاسق الفاجر ، والفاجر الفاسق يرث المؤمن ، وأنَّ فسقه وفجوره لا يمنع أن يرث من قريبه ، أو من مورثيه ، ولا يمنع موروثاً له .

قوله : " ويقرون أنَّ الجنة والنار مخلوقتان " وأقول : قد سبق التعليق عليها[٣] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب من حق المسلم على المسلم ، وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز من حديث أبي هريرة ﷺ .

٢) الحديث أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير (٧٨/١١) الباب الثالث برقم الحديث (١٣٤٧٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧/٢) : " فيه محمد بن الفضل بن عطية وهو كذاب " وأخرجه الإمام الدارقطني في سننه في كتاب العيدين باب من تجوز الصلاة معه والصلاة إليه ؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، لكن ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع برقم الحديث (٣٤٨٣) وقال رحمه الله في إرواء الغليل (٣٤٠/٢) : " وأخرجه الدراقطني (١٨٤) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢١٧ / ٢) من طريق عثمان بن عبد الرحمن ، وهذا إسنادٌ واهٍ جداً ؛ عثمان بن عبد الرحمن خو الزهري الوقاصي متروك ، وكذَّبه ابن معين " اهـ .

٣) التعليق على الفقرة قد تقدم في الفقرة رقم ٧ .

٥٣- وأنَّ من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله .

٥٤- وأنَّ الأرزاق من قبل اللّه سبحانه يرزقها عباده ؛ حلالاً كانت أم حراماً .

٥٥- وأنَّ الشيطان يوسوس للإنسان ، ويشككه ، ويخبطه .

قوله : " وأنَّ من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله " وأقول : الله ﷻ قدَّر مقادير العباد ؛ فكلُّ إنسانٍ قد علم الله بأي شيءٍ نهايته من الدنيا ؛ هل يكون ذلك بالموت العادي ؟ أو يكون بالقتل ؟ أو يكون بالحرق في النار ؟ أو باللدغ ؟ أو بالغرق في الماء ؟ أو بالهدم ؛ أو ما أشبه ذلك ؟!! فلا يمكن أن يموت بغير ما قدِّر له ، ولهذا قال خالد بن الوليد ﷺ ؛ لما حضرته الوفاة بكى ، وقال : " لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ ؛ أو طعنةٌ ؛ أو رميةٌ ، ثم ها أنذا أموت على فراشي كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء"[١].

قوله : " وأنَّ الأرزاق من قبل الله سبحانه يرزقها عباده ؛ حلالاً كانت أم حراماً " وأقول : الأرزاق لاشك أنها من الله تقديراً ؛ لكن منها ما يكون حلالاً واضح الحل ، ومنها ما يكون حراماً واضح الحرمة ، ومنها ما يكون مشتبهاً ، ولا يقال : لمَ يقدُّر الله ﷻ الرزاق الحرام ؟ لا يقال هذا ؛ فمثلاً الله ﷻ حرَّم الربا ، وكثيراً من الناس يعملون به ، ويكسبون منه ؛ فيكون رزقهم منه حراماً ، فتقدير ذلك في الكون لا يعارض المنع في الشرع ، فالمحرم ممنوع شرعاً ، وقد قدَّره الله كونا ، فالمؤمن يتورَّع ، ويمتنع عن المكاسب المحرمة ؛ عبوديةً لله ، وقناعةً بما أحلَّ الله ؛ أمَّا الفاسق الذي لا يخاف الله ، ولا يخشاه ؛ أي أنَّ خوفه من الله ضعيفٌ ، فهو لا يبالي ؛ بل كلُّ شيءٍ يتيسر له الكسب منه ؛ فإنَّه يكسب منه ؛ ولا يبالي ؛ بل قد يكون حريصاً على الشيء الذي يكون فيه الكسب كثيراً ، وإن كان محرماً .

وقد تجد بعض الناس محافظاً على الصلاة ؛ ولكنَّه يكسب من القات مثلاً ؛ أو يكسب من المخدرات والعياذ بالله ، فيحمله الطمع على الكسب من هذه المكاسب المحرمة ؛ مع أنَّك تراه يصلي ، ويحافظ على الصلوات في المساجد ، وإذا نصحته تجد أنَّ خشيته من الله قليلة .

---

١) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١٢٧) - وفي كتاب الوافي بالوفيات (٤ / ٣٥٠) - وفي تهذيب التهذيب (٣ / ١٠٧) برقم (٢٢٨) - وفي سير أعلام النبلاء (١ / ٣٦٧) - وفي تهذيب الكمال (٨ / ١٨٩) - وفي تهذيب الأسماء (١ / ٢٣٤) .

قوله : " وأنَّ الشيطان يوسوس للإنسان ، ويشككه ، ويخبطه " وأقول : الشيطان يتسلط على الإنسان أحياناً ؛ وبالأخص إذا كان الإنسان ضعيف الإيمان ؛ قليل التحرز بالأوراد أو الأدعية القرآنية ، والنبوية ، فيتسلط عليه الشيطان ؛ وقد يشككه في ربه ، وخالقه ، ويجعله يتخبط ، والعياذ بالله ؛ ونسأل الله العفو والعافية ، وعلاج ذلك أن يكثر من الطاعات ، كالمحافظة على الصلاة في الجماعة ، والمحافظة على صلاة النافلة ، والمحافظة على الأوراد القرآنية ، والأوراد النبوية ، والإكثار من قراءة القرآن ، والبعد عن المعاصي ، كالبعد عن آلات اللهو ، والأغاني ، والتمثيليات ، وما أشبه ذلك ، فإذا ابتعد عن مثل هذه الأمور ، وحافظ على ما يجب حفظه مما سبق ذكره ؛ فإنَّ الشيطان يبتعد عنه ؛ ولا يقربه ، ولا يستطيع عليه .

٥٦- وأنَّ الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآياتٍ تظهر عليهم .

قوله : " وأنَّ الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآياتٍ تظهر عليهم " وأقول : هذه تسمى بكرامات الأولياء ، ومن الكرامات ما أثر أنَّ العلاء بن الحضرمي ﷺ ؛ عندما فتح المنطقة الشرقية ؛ أراد أن يغزو البحرين ، وأن يأتيهم ؛ وهم غافلون ، فدعا الله ﷻ ؛ وقال لمن معه : خوضوا البحر ! فخاضوه جميعاً بخيولهم ، وإبلهم ، والمشاة يمشون ؛ حتى خرجوا على جزيرة البحرين ، واستولوا عليها ؛ مع أنَّ الفاصل بينها وبين الجزيرة ؛ بحر لا تقطعه إلا السفن[١] .

وكذلك سعد بن أبي وقاص ﷺ ؛ لما غزا المدائن ، فخاض دجلة على الخيل والإبل ، ولم يفتقدوا حبلاً ولا شيئاً ؛ حتى دخلوا إلى المدائن ، ودخلوا قصر كسرى وإيوانه ، وغنموا منه غنائم عظيمة ؛ حتى أنَّ الجيش الذين غزو هذه الغزوة ؛ صار نصيب كلِّ واحدٍ منهم ستة آلاف درهم بعد الخمس .[٢]

---

١) انظر سبل الهدى والرشاد (١٠ / ٢٤١) والسيرة النبوية لابن كثير (٤ / ٦٩٣) والبداية والنهاية (٦ / ٢٩٢) .
٢) انظر سبل الهدى (١٠ / ٢٤٥) وأسد الغابة (١ / ٣٩٩) و (٣ / ٩٤) والكامل في التاريخ (١ / ٤٣١) ذكر فتح المدائن التي فيها إيوان كسرى .

ومن كرامات الأولياء ما حصل لعمر بن الخطاب ﷺ ؛ من أنَّه كان مرة يخطب ؛ فسمعوه يقول : يا سارية الجبل ! يا سارية الجبل ! يا سارية الجبل ! ثلاث مرات ، وبعد فترة جاء الخبر من ذلك الجيش ؛ أنَّه قد أحاط بهم جيش الكفار ، فسمعوا قائلاً يقول : يا سارية الجبل ! فاستندوا للجبل ، فظفروا .[1]

وهكذا أشياء كثيرة من كرامات الأولياء ، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " .

٥٧- وأنَّ السُنَّة لا تنسخ القرآن .

قوله : " وأنَّ السُّنَّة لا تنسخ القرآن " وأقول : هكذا قرَّر أهل الأصول ، فقالوا : إنَّ السُّنَّة لا تنسخ القرآن ، ولكنَّها تبينه ، وتوضحه ، ولكن حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال : ((كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُرِبَ لِذَلِكَ ، وَتَرَبَّدَ لَهُ وَجْهُهُ ؛ قَالَ : فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ ؛ فَلُقِيَ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ ؛ قَالَ : خُذُوا عَنِّي ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ؛ الثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ ؛ الثَّيِّبُ جَلْدُ مِائَةٍ ، ثُمَّ رَجْمٌ بِالْحِجَارَةِ ، وَالْبِكْرُ جَلْدُ مِائَةٍ ، ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ))[2] .

وهنا يقال : إنَّ حديث عبادة ناسخ لقول الله ﷻ : ﴿ وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٥] أو أنَّ هذه الآية نسختها آية النور : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] .

---

١) انظر سبل الهدى والرشاد (١٠ / ٢٤٠) وأسد الغابة (١/ ٤٠٨) والكامل في التاريخ (١ / ٤٦٧) ذكر فتح سجستان ، ومختصر تاريخ دمشق (٣ / ٢٥٤) وتاريخ الخلفاء (١ / ٥٠) وتاريخ الإسلام للذهبي (١ / ١١١) والبداية والنهاية (٧ / ١٤٧) .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب حد الزنى .

إلاَّ أنَّه يبقى الرجم ، والظاهر أنَّها قد نزلت آية ، فنسخت هذه الآية ، ثم نسخت تلك الآية تلاوةً وبقيت حكماً ، وهي التي أشار إليها عمر بن الخطاب ﷺ ؛ حين قال على المنبر : ((لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ ؛ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ : مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ ؛ أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ ؛ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ ، وَقَامَتْ الْبَيِّنَةُ ؛ أَوْ كَانَ حَمْلٌ ؛ أَوْ اعْتِرَافٌ ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ ؛ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ)) [1].

وفي رواية لأحمد : ((عَنْ زِرٍّ قَالَ : قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ ؛ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا ؟ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً ، فَقَالَ : قَطُّ لَقَدْ رَأَيْتُهَا ؛ وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [2])) .

فهذا يدل على أنَّ هذه الآية نسخت بآية الرجم ، ثم إنَّ آية الرجم نسخت تلاوةً لا حكماً ، وهذه الآية نسخت حكماً لا تلاوة [3].

٥٨- وأنَّ الأطفال أمرهم إلى الله ؛ إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد .

قوله : " وأنَّ الأطفال أمرهم إلى الله ؛ إن شاء عذبهم ، وإن شاء فعل بهم ما أراد " وأقول : الذي يترجح أنَّ الأطفال الذين يموتون دون الحنث ؛ يكونون في الجنة ؛ كما دلَّ على ذلك حديث الرؤيا : ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً ؛ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟ قَالَ : فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا ؛ فَيَقُولُ : مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا ؛ فَقَالَ : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟ قُلْنَا : لَا ؛ قَالَ : لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي ، فَأَخَذَا بِيَدِي ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ ؛ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى ؛ إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ

---

١) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الحدود باب الرجم ؛ وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٧٢/٦) : " هذا إسنادٌ صحيح على شرط الشيخين " وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢١١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والحديث صححه أيضاً الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء برقم الحديث ٢٣٣٨ وفي مختصر السلسلة الصحيحة برقم الحديث (٢٩١٣) .

٢) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣/ ٢١٧) برقم الحديث (٢٠٢٦١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : " وهذا إسنادٌ حسن " وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٦٥/٣) برقم الحديث (٥٩٩٠) و(٣٣٠/٧) برقم الحديث (١٣٣٦٠) والسنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٧٢) برقم الحديث (٧١٤٧) والحاكم في مستدركه (٤٤٢/١٨) برقم الحديث (٨١٨١) والطبراني في معجمه الأوسط (٥٦/١٠) برقم الحديث (٤٥٠٢) وقال الألباني أيضاً رحمه الله كما في السلسلة الصحيحة (٩٧٥/٦– ٩٧٦) برقم الحديث ٢٩١٣ : " وقال الحاكم صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ؛ وهو كما قالا " اهـ .

٣) يقصد شيخنا النجمي رحمه الله بالآية قول الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ والله أعلم .

الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ ؛ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا ، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ ؛ قُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا ؛ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ ؛ أَوْ صَخْرَةٍ ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ ؛ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ ؛ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ ؛ فَعَادَ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ ؛ قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ ؛ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ ؛ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا ، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا ؛ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا ، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا ، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ ؛ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ ؛ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ ؛ قَالَ يَزِيدُ ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ؛ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ : وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ ؛ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ ؛ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ ؛ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ، فَانْطَلَقْنَا ؛ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ؛ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ ، وَصِبْيَانٌ ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنْ الشَّجَرَةِ ؛ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا ، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ ، وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا ؛ فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ ، وَشَبَابٌ ، وَنِسَاءٌ ، وَصِبْيَانٌ ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا ، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ ، وَأَفْضَلُ ؛ فِيهَا شُيُوخٌ ، وَشَبَابٌ ؛ قُلْتُ : طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ ؛ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ ؟ قَالَا : نَعَمْ ؛ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ ؛ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ ؛ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ ؛ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ ؛ فَهُمْ الزُّنَاةُ ؛ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا ؛ وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ ؛ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ ؛ وَالدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ ؛ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ ، وَأَنَا جِبْرِيلُ ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ ؛ فَارْفَعْ رَأْسَكَ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ؛ فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ ؛ قَالَا : ذَاكَ مَنْزِلُكَ ؛ قُلْتُ : دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي ؛ قَالَا : إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ ؛ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ))[1]

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المسلمين من حديث سمرة بن جندب ﷺ .

ونحن نقطع بأنَّ الله لا يعذب أحداً إلا بحجة ، والذين يموتون دون الحنث لم يسجل عليهم شيء ؛ رحمةً من الله ، والله ﷻ يقول : ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ [النساء : ١٤٧] والذي يظهر والله أعلم أنَّ الغلمان ؛ الذين يموتون دون الحنث ؛ يكونون خدماً لأهل الجنة ؛ كما يقول الله ﷻ : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور:٢٤] وقوله : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة : ١٧-١٨] وقد دلت بعض الآثار أنَّ الإناث اللائي يمتن دون الحنث يكن جواري لنساء الجنة[1] .

٥٩- وأنَّ الله عالمٌ ما العباد عاملون ، وكتب أنّ ذلك يكون ، وأنَّ الأمور بيد الله .

قوله : " وأنَّ الله عالمٌ ما العباد عاملون ، وكتب أنّ ذلك يكون ، وأنَّ الأمور بيد الله " أقول لاشك أنَّ ما يعمله العباد قد كتب عليهم في اللوح المحفوظ ، قال الله ﷻ : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] .

وكما ورد في الحديث المتفق عليه : ((عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ هُرْمُزَ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ ؛ قَالَا : سَمِعْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام عِنْدَ رَبِّهِمَا ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ؛ قَالَ مُوسَى : أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ ؛ فَقَالَ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ ؛ وَبِكَلَامِهِ ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا ؛ فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ قَالَ مُوسَى : بِأَرْبَعِينَ عَامًا ؛ قَالَ آدَمُ : فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ ؛ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى))[2] .

---

١) كما ورد ذلك في مصنف عبد الرزاق (١١/ ١١٧) برقم الحديث (٢٠٠٧٩) وفي المعجم الكبير للطبراني (٣٩٢/٦) برقم الحديث (٦٨٤٥) وفي الأوسط له (٥/ ٧٩) برقم الحديث (٢١٢٠) و(٤٦/٧) برقم الحديث (٣٠٨٩) وفي مسند الطيالسي (٦/ ١٥٠) برقم الحديث (٢٢١٣ وقال الإمام الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٦/ ١١٣) " ثم وجدت لجملة أنهم " أي أطفال المشركين " خدم أهل الجنة بعض الطرق والشواهد ، فأخرجتها في الصحيحة ١٤٦٨ " اهـ .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، وأصله في البخاري مختصراً في كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ وباب قوله تعالى : ﴿ فلايخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ وفي كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى عند الله ، وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب وفاة موس وذكره بعدُ ، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وكلَّم الله موسى تكليما ﴾ .

٦٠- ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل ، والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ؛ والزنا ، وقول الزور ، والعصبية والفخر والكبر والإزراء على الناس والعجب.

قوله : " ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل ، والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ؛ والزنا ، وقول الزور ، والعصبية ، والفخر ، والكبر ، والإزراء على الناس ، والعجب " وأقول : في هذا المقطع عدة أمور :

أولها : الصبر على حكم الله القضائي القدري ، والأمر بالصبر قد ورد في النصوص الشرعية كثيراً منها : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران :٢٠٠]

ومن وصايا لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] فالصبر على أقدار الله أمرٌ محتّمٌ على العباد ، وأجر الصابرين يعطى من الله بغير حساب ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر : ١٠] .

ثانيها : الحرص من المكلف على فعل الأوامر .

ثالثها : الانتهاء عما نهى الله عنه ؛ والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] وقوله : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً ﴾ [النساء : ٣١] .

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ ؛ قال : ((إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيَّن ذلك ، فمن هم بحسنة ؛ فلم يعملها ؛ كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها ، وعملها ؛ كتبها الله له عنده عشر حسنات ؛ إلى سبعمائة ضعف ؛ إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة ؛ فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملة ؛ فإن هو هم بها ، فعملها ؛ كتبها الله له سيئة واحدة))[1] ، وهذه هي أنواع الصبر الثلاثة :

١- صبر على أقدار الله .

٢- صبر على أداء طاعة الله .

٣- صبر عن معصية الله .

رابعها : إخلاص العمل لله ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] وقوله : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر : ٣] وقوله : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] فالإخلاص في العمل هو أحد شرطي القبول ، والشرط الثاني موافقته لما شرع الرسول ﷺ .

خامسها : النصيحة للمسلمين عامة ؛ كما جاء في حديث تميم الداري أنَّ النبي ﷺ قال:

((الدين النصيحة ؛ قلنا لمن ؟ قال لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ؛ وعامتهم))[2]

فالنصيحة لولاة الأمر نصيحة للمسلمين جميعاً ، حيث ما عاد بالخير على ولاة الأمر ؛ فإنَّه يعود بالخير على من تحت أيديهم .

---

١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب من هم بحسنةٍ أو سيئة ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب إذا همَّ العبد بحسنةٍ كتبت ، وإذا همَّ بسيئة لم تكتب من حديث أبي هريرة ﷺ .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أنَّ الدين النصيحة .

سادسها : يدينون بعبادة الله في العابدين ؛ أي أنهم يؤدون عبادة الله ؛ كما أمرهم الله ﷻ حيث يقول : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٣] ويقول : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٤] ويقول : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٨- ٢١٩] .

سابعها : النصيحة لجماعة المسلمين ، وقد تقدمت في الفقرة الخامسة ، وتقدم ما يدل عليها .

ثامنها : اجتناب الكبائر ؛ لقول الله ﷻ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً ﴾ [النساء : ٣١] .

تاسعها : الزنا ؛ فالزنا منهي عنه وعن قربانه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] ؛ ذلك لأنَّ الزنا من فعل الجاهلين ، وقد أخبر الله ﷻ عن يوسف عليه السلام أنَّه قال : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] ؛ ولأنَّ الله ﷻ ميَّز بني آدم بالعقول ، وشرع لهم التناسل بطريقة النكاح الصحيح ؛ خلافاً للحيوانات التي تتناكح وتتناسل بدون نظام ، فكان الزنا تشبُّهٌ ببيئة الحيوانات التي لا تعقل ، وبأهل الإلحاد الذين يدعون إلى ذلك ، وقد قلت في منظومة صيحة حق ردّاً على الملحدين :

وزعموا أنَّ الزواج والأسر ... تخلُّفاً من راسباتِ من غبَر
ورأوا الحبَّ الطليق المنطلق ... من رِبْقة العقول سُخْفاً وحمَق
لكي يكون الناس كالبهائ ... وعاقلٌ كالحَيَوان الهائم
مسرِّحين همهم أن يشربوا ... ويأكلوا ويمرحوا ويلعبوا
تنكروا للعقل ثم للفطر ... يا ويلهم ماذا أتوا من الكُبَر

عاشرها : قول الزور ؛ أي ومن الواجب على المسلم أن يتجنب قول الزور وهو الكذب على الآخرين ، وهذا محرم بالإجماع ، والأدلة عليه متوافرة .

الحادي عشر : تجنب العصبية ؛ والعصبية هو أن ينصر الرجل قبيلته ، وقرابته ؛ سواءً كان ذلك بحقٍّ ؛ أو بباطل ، وقد جاء في الحديث الذي ينصر قومه بالعصبية ؛ كالبعير يتردى ، فينزع بذنبه ؛ فعن ابن مسعود ﷺ قال : قال عليه الصلاة والسلام : ((من نصر قومه على غير الحق ؛ فهو كالبعير الذي تردَّى فهو ينزع بذنبه))[1] ، والواجب على المسلم أن يكون قوَّالاً بالحق ؛ حتى ولو كان على نفسه ؛ قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [النساء : ١٣٥] أي أنَّكم لا تنصروا الغني على الباطل لغناه ؛ تزلفاً إليه ، فالله أولى بالجميع ، والواجب عليكم أن تكونوا أنصاراً للحق ؛ متجردين عن العصبية ، وغيرها من المحسوبيات . الثاني عشر : ومما يجب اجتنابه الفخر ؛ فالفخر مذموم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] فالفخر لا ينبغي ؛ حتى ولو كان بالحق ، فإن كنت على حقٍّ ؛ فاعلم أنَّ الله هو الذي وفقك إليه ، وهداك له ، فلا تدلي بما لَك من الإنجازات ؛ حتى ولو كانت إنجازات في الخير ، ولكن احمد الله عليها ، واعترف بنعمة الله عليك فيها .

الثالث عشر : الكبر ؛ وهو الاختيال ، والكبر فسره النبي ﷺ بقوله : ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ؛ قال رجلٌ : إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ؟ قال : إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال ؛ الكبر بطر الحق ، وغمط الناس))[2] .

---

١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأدب باب في العصبية ، وأخرجه الإمام أحمد (٩ / ١٠٠) برقم الحديث (٤٠٦٥) وأخرجه الإمام البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٢٣٤) والبيهقي أيضاً في شعب الإيمان (١٦٣/١٦) برقم الحديث (٧٤١٤) وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم الحديث (٦٥٧٥) وقال أيضاً رحمه الله : " وأخرجه الترمذي برقم (٢٢٥٨) وقال : حديثٌ حسنٌ صحيح ؛ وهو كما قال إسناده صحيح رجاله ثقات ، ومن اقتصر على تحسينه فهو تقصير " انظر السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٧١) بتصرف يسير .

٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ .

وجاء في الحديث القدسي : ((قال الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار))[1]

الرابع عشر : الازدراء على الناس ؛ يعني احتقارهم ؛ وهذا من الكبر ، والعياذ بالله ؛ بأن يفخر الإنسان بنفسه ، ويزدري الآخرين .

الخصلة الخامسة عشرة : من الأمور التي يبغضها الله العُجب ، فلا تُعجب بنفسك يا عبد الله ؛ بل الله ﷻ هو الذي له عليك المنة ، وله عليك الفضل ، ولمَّا افتخر الأعراب بإسلامهم ؛ قال الله ﷻ : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات : ١٧] .

٦١- ويرون مجانبة كلّ داعٍ إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ؛ مع التواضع ، والاستكانة ، وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب .

قوله : " ويرون مجانبة كلّ داعٍ إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ؛ مع التواضع ، والاستكانة ، وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب " .

وأقول قوله : " ويرون مجانبة كلّ داعٍ إلى بدعة " مجانبة أصحاب البدع ؛ وبالأخص الداعين إليها ؛ هو الذي أمر الله به في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] فمجاهدة الكفار بدعوتهم إلى الله ، وقتالهم على دعوة الحق ليقبلوها ، أو على الأقل لا يقف في وجهها ، وذلك يكون بالدعوة باللسان والبيان ، وبالسيف والسنان ؛ أي بالآلات الحربية الحديثة التي تختلف عن الآلات الحربية التي كانت قبل أكثر من خمسين سنة .

---

١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر ، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع ؛ وأخرجه الإمام أحمد(١٥/ ١١٩)برقم الحديث(٧٠٧٨)و(١٨/٨١)برقم(٨٥٣٩) و(١٩/٣٤) برقم(٨٩٩١) و(١٩/ ١٨٦) برقم (٩١٤٣) و(١٩/ ٣٦٩) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم (٤٣١١) .

أمَّا مجاهدة المنافقين ؛ فهو يكون بالدعوة إلى الله ، وبيان الحق ، وكشف تلبيسات أهل الزيغ والضلال ، وقد حثَّ النبي ﷺ أمته على إتباع سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، وحذَّر من المحدثات ، وأخبر بأنَّ كلَّ محدثة بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة .

فمجانبة أهل البدع والضلال ؛ أمرٌ محتَّمٌ على أهل الإسلام ، وللسلف في هذا المجال كلامٌ كثيرٌ موزَّع في مظانِّه ، فعليك يا عبد الله أن تبحث عن هذه الآثار ، وتعلمها ؛ لكي تحذر البدع ، وأصحابها .

وهنا أمورٌ ينبغي التنبيه عليها منها :

١- أنَّ من عُرف بالسلفية ، وأُنكر عليه شيء ؛ كمجالسته لأهل البدع ، ومماشاتهم ، والاعتذار لهم ، وتبرير مذهبهم ؛ فإنَّه ينصح من هذا الأمر ، وتكرَّر عليه النصيحة ؛ حتى لا يخسره أصحاب المنهج السلفي ؛ فإن أصرَّ على ما هو عليه ؛ ألحق بأهل البدع ، ولا يكون ذلك بأخبارٍ ليست موثَّقة ؛ بل ينبغي أن لا يبنى هذا ؛ إلاَّ على أخبارٍ معلومةٍ ، وموثَّقة .

وليس من شأن أهل السنة ، ولا من طريقتهم تبرير أهل البدع ، ولا تلمس الأعذار لهم ، ولا تبرير مذهبهم ، ولا ينبغي التسرع في الحكم على أصحاب المنهج السلفي بأنهَّم مبتدعون ، والتحذير منهم ؛ حتى ينصح من أُنكر عليه مرة بعد مرة ؛ فإذا أعذر أصحاب المنهج السلفي ؛ بتكرير النصيحة على ذلك الرجل ؛ عند ذلك يحكم عليه بالبدعة ، ويلحق بالمبتدعة ، أمَّا بدون هذا ؛ فلا ينبغي التسرع في الحكم عليه .

ملحوظة :

ومما أُثر عن السلف الحكم على كلِّ شخصٍ بمن يتخذهم الشخص أصحاباً وبطانةً ، ولا تهدأ نفسه ، ولا تقر عينه ، ولا يستريح إلا معهم وبهم ، ولهذا قال محمد بن عبيد الله الغلابي : " يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة "[1] وقال الأوزاعي : " من ستر عنا بدعته لم تخف علينا ألفته "[2] وقال الأعمش : " كانوا لا يسألون عن الرجل ، بعد ثلاث : ممشاه ، ومدخله ، وألفه من الناس "[3] إلى غير ذلك من الآثار المذكورة في مظانها كـ " الإبانة الكبرى " لابن بطة ، و" الإبانة

١) انظر الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ١٩) .
٢) انظر الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٤) .
٣) انظر الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٤٣٣) .

الصغرى " له ، و" شرح أصول اعتقاد أهل السنة " للالكائي ، و " الشريعة " للآجري ، وغير ذلك مما هو مذكورٌ ومعروفٌ ؛ من الكتب التي جمعت هذه الآثار .

قوله : " والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه " يعني أنَّ الإنسان يصرف وقت فراغه في هذه الأمور ؛ التي تعود إليه بالنفع في الدار الآخرة ؛ بل في الدنيا والآخرة ، فقراءة القرآن والاستكثار منها نعمةٌ تتضاءل عندها كلُّ نعمة ، وكتابة الآثار ، والنظر في الأحكام الشرعية كذلك ؛ فمعرفة الأحكام الشرعية من مظانها بالتفصيل ؛ من الأمور التي يحسن بطلاب العلم التشاغل بها ، والعكوف عليها ، والتكرير لها .

قوله : " مع التواضع ، والاستكانة ، وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المأكل ؛ والمشرب " وأقول في هذا المقطع عدة جمل : -

الجملة الأولى : التواضع ، والاستكانة[1] ؛ التواضع هو ضد الكبر ، وفي الحديث : ((ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال عبدٍ من صدقة ، و لا ظلم عبدٌ مظلمةٍ صبر عليها ؛ إلا زاده الله ﷻ عزاً ، ولا فتح عبدٌ باب مسألةٍ إلا فتح الله عليه باب فقرٍ ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه الله مالاً ، وعلماً ؛ فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعمل لله فيه حقاً ؛ فهذا بأفضل المنازل ، وعبدٌ رزقه الله تعالى علماً ، ولم يرزقه مالاً ؛ فهو صادق النية يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملت بعمل فلان ؛ فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ، ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ؛ لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعمل لله فيه حقاً ؛ فهذا بأخبث المنازل ، وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ، ولا علماً ؛ فهو يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ؛ فهو بنيته ؛ فوزرهما سواء))[2] .

---

١) قال في الفروق اللغوية (٣٣٠/١) : عند ذكر الفرق بين الضعف والوهن " وأمَّا الاستكانة فقيل هي : إظهار الضعف قال الله تعالى : ﴿ وما ضعفوا وما استكانوا ﴾ أي لم يضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة " وقال في تهذيب اللغة في ج٤١٠/٣ : " وقال الله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وما يَتَضَرَّعُونَ ﴾ من هذا أي ما خضعوا لربهم ؛ وقال ابن الأنباري في قولهم : استكانَ فلان إذا خضع ..." اهـ

٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر من حديث أبي كبشة الأنماري ، وقال الترمذي : " حديثٌ حسنٌ صحيح " وأخرجه الإمام أحمد (٣٦ / ٤٦٤) برقم الحديث (٢٢٤٧) وصحح الحديث الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجة برقم (٤٢٢٨) ونقل تصحيحه رحمه الله في صحيح الجامع برقم الحديث (٣٠٢٤) .

الجملة الثانية : حسن الخلق ؛ وليعلم أنَّه ليس حسن الخلق موافقة الناس على ما يحبون ، ولو كان منكراً أو باطلاً ، ولكن حسن الخلق ؛ هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وإنكار المنكر ، والأمر بالمعروف ، والموالاة ، والمعاداة في الله ولله ، والمحبة والبغض في الله ولله ، هذا هو حسن الخلق ، والله تعالى يقول لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

الجملة الثالثة : بذل المعروف ، وبذل المعروف أن تبذل ما تستطيع ؛ مع طلاقة الوجه ، وحسن الروية .

الجملة الرابعة : كف الأذى ، وكف الأذى من الأمور المطلوبة للعبد ، وقد أمر العبد أن يأتي إلى الناس ما يحب أن يأتوا إليه ، ويشمل كف الأذى جميع أنواع الأذى ؛ تارةً يكون باليد ؛ كالضرب ، والقتل ، وسفك الدم ؛ وتارة يكون باللسان ؛ بالسب ، والشتم ، والتعيير ، والسخرية ، والمطلوب من العبد أن يكف أذاه عن الناس من كلِّ وجهٍ ، وليس الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من الأذى ؛ بل هو من الإحسان .

الجملة الخامسة : ترك الغيبة ؛ والنبي ﷺ قد فسَّر الغيبة لما سئل عنها ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ؛ قال ذكرك أخاك بما يكره ؛ قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته))[1] ، فالبهت : هو ادعاء شيءٍ على إنسان لم يفعله ؛ وهو من أعظم الجرائم ، وبالأخص إذا كان القائل هو الذي يفعل ذلك الشيء ، وينسبه إلى غيره ، فالذنب حينئذٍ عظيم ، والجريمة حينئذٍ كبيرة .

وليس من الغيبة الدفاع عن الدين ، فالكلام في المبتدعة ، وبيان ما هم عليه من البدع ، والضلال ؛ هذا لا يعتبر غيبة ، وإنَّ كتب الجرح والتعديل المليئة بكلام أهل العلم ؛ الذين يدفعون به أو يدافعون به عن الدين ، فمن أدخل في حديث النبي ﷺ ما ليس منه ؛ بينوا حاله ، وإذا كان

---

١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه في كتاب البر والآداب والصلة باب تحريم الغيبة .

الإنسان يغلط في الحديث ، ويخطئ فيه ؛ مع عدالته ، وصدقه ؛ بينوا حاله ، وإذا كان يكذب على النبي ﷺ متعمداً ؛ بينوا حاله ، وهكذا .

الجملة السادسة : النميمة ؛ والنميمة : هي إيصال الكلام من شخص إلى شخص على سبيل الإفساد ، وإثمها عظيم ، ولهذا جاء في الحديث عن همام بن الحارث قال : " كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير ؛ فكنَّا جلوساً في المسجد ؛ فقال القوم : هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير ؛ قال : فجاء حتى جلس إلينا ، فيقول حذيفة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((لا يدخل الجنة قتَّات))[1] ، رواه مسلم .

الجملة السابعة : السعاية ؛ والظاهر أنَّه يقصد بالسعاية إيصال حاجات الناس إلى السلطان ، فمن قصد بذلك الخير جزاه الله عن ذلك بالخير ، ومن قصد بذلك أذية المسلمين بما لم يفعلوه فهو مجرم ، والمهم أنَّ الله ﷻ يقول : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً ﴾ [النساء : ٨٥] .

الجملة الثامنة : تفقد المأكل والمشرب ؛ أي ينبغي للإنسان أن يتفقد مأكله ، ومشربه ؛ هل هو من حلالٍ ؟ أو من حرام ؟ أو من أمرٍ يشتبه فيه ؟ وفي الحديث عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إنَّ الحلال بيِّنٌ ، والحرام بيِّن ؛ وبينهما مشتبهاتٍ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس ؛ فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه ؛ وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ؛ ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمى ؛ ألا وإنَّ حمى الله محارمه ؛ ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب))[2] ، متفق عليه . فالواجب على المسلم أنَّ لا يأكل إلا ما هو حلالٌ ، وأن يترك المكاسب المشتبهة حتى يكون على بينةٍ من أمره .

---

١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يكره من النميمة ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة .
٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

٦٢- فهذه جملةٌ ما يأمرون به ، ويستعملونه ، ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب .

٦٣- وما توفيقنا إلاَّ بالله ، وهو حسبنا ، ونعم الوكيل ربه ؛ نستعين ؛ وعليه نتوكل ، وإليه المصير .

قوله : " فهذه جملةٌ ما يأمرون به ، ويستعملونه ، ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب " هذا دليل على أنَّ أبا الحسن الأشعري في آخر أمره كان على العقيدة الصحيحة .

قوله : " وما توفيقنا إلاَّ بالله ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل ربه ؛ نستعين ؛ وعليه نتوكل ، وإليه المصير " وهذا دليلٌ على تراجع أبي الحسن في آخر حياته .

وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلم .